عصام عبد الفتاح

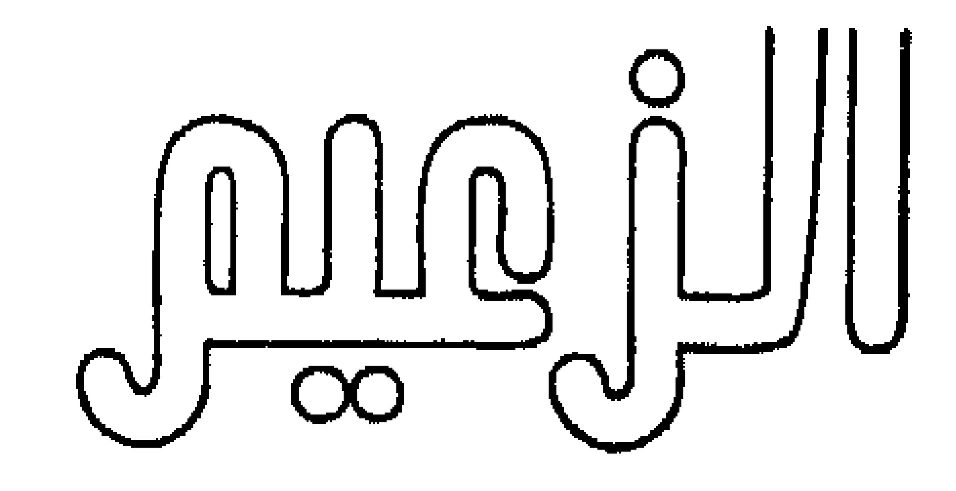
الزعيم

من أيام الانتصار
إلى سنوات الانكسار

كنوز
للنشر والتوزيع



من الانتصار.. إلى الانكسار !!



الزعيم..

من الانتصار.. إلى الانكسار..!

المؤلف:

عصام عبدالفتاح

مراجعة لغوية

ضياء الدين رشدى

الإشراف العام

ياسر رمضان

الناشـــــر

كنوز

للنشر والتوزيع

37 ش قصر النيل ـ القاهرة تليفون: 012 7717795

kenouz55@yahoo.com

التنفيذ الفنى

رواق

rewaq

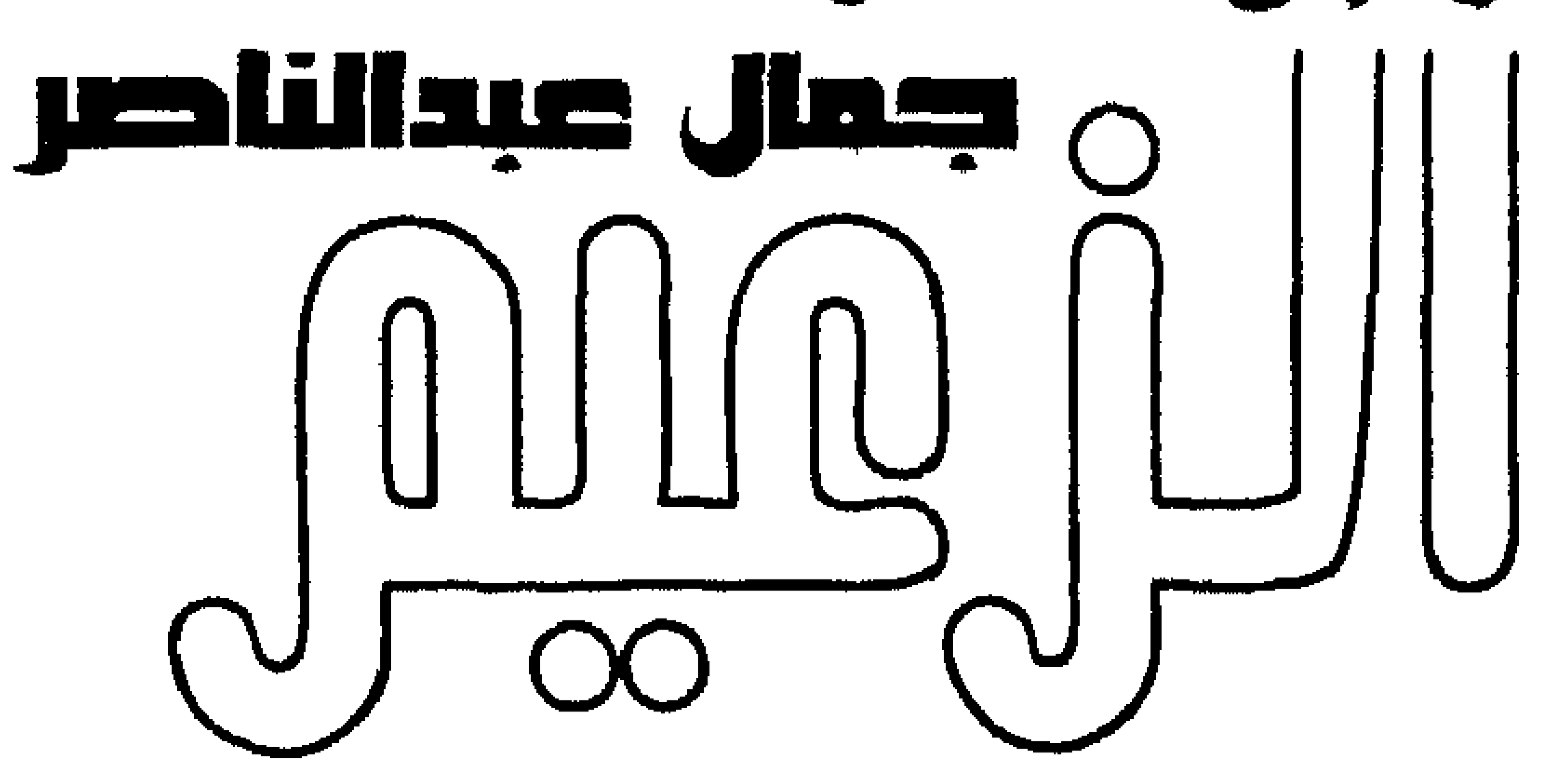
3036809

رقم الإيداع:16144/2008

الترقيم الدولى: 977-5327-69-x



من الانتصار.. إلى الانكسار!!



عصام عبدالفتاح



مقدمة

ناصر ياحرية..

ناصر يا وطنية..

يا روح الأمة العربية.. ياناصر..

الشعب يريدك بحياته.. يا موصل موكبه لغاياته..

وحياة المصحف.. وآياته.. اسمك فى قلوبنا أغنية..

كلمات بسيطة.. ورائعة.. للأروع صلاح جاهين تتجاوز كثيراً مجرد وصف حالة غرام.. وعشق غير مسبوقين عبر تاريخنا السياسى كله بين الحاكم.. والمحكومين.. حالة عشق.. متناهية الخصوصية.. لرجل كان.. ومازال.. وسيظل للأبد قابعاً فى عقل.. ووجدان معظم المصريين.. والعرب.. حتى من أجيال عديدة ولدت.. وعاشت خارج الفترة الزمنية التى قاد فيها هذا الرجل سفينة الوطن.

إنه عبد الناصر.. ناصر.. جمال.. أبو خالد.. وفوق كل هذا.. هو الزعيم.. ولا زعيم سواه.. فالزعامة ليست لقبًا يختاره القادة لأنفسهم.. إنما هى رداء ترديهم إياه شعوبهم.. تاج.. لم يعل رأس أى زعيمٍ أو قائد عربى غيره منذ صلاح الدين الأيوبى.. وحتى يومنا هذا.. مازال يبحث عمن يستحق أن يكلل رأسه به..

فما الذى حدث بين تاريخى مولده.. ووفاته (١٥ يناير ١٩١٨ - ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠) ليجعل من هذا الرجل أسطورة بكل هذا الحجم؟!

ولماذا كان عبد الناصر كذلك..

ما هو السر وراء هذه الكاريزما المتفردة؟

أسئلة كثيرة.. احتارت الأقلام.. واجتهادات الكتاب.. والمؤلفين ليجيبوا عنها.. فمن قائل: إخلاصه.. وحبه لوطنه.. كان هو السبب.. ومن قائل: إنكاره لذاته فى سبيل الوطن.. ومن قائل: عدم ابتعاده عن شعبه.. واقترابه الشديد منهم.. وغيرها كثير من تلك الأقاويل.. أما نحن فليسمح لنا القارئ أن نقول أيضاً كلمتنا: إنه الجانب الإنسانى البحت فى تركيبة.. وشفرة ناصر الداخلية.. فقد حكم مصر ليس باعتباره زعيماً.. ولا حاكماً قدر احساسه بكونه مواطنًا.. وإنسانًا.. رب أسرة يحكمها بإحساس الأب.. والأخ.. والإبن.. وكلها أحاسيس إنسانية بحتة.. ساهم فى ترسيخها انتماءه المطلق لأبناء تلك الطبقة الكادحة.. والفقيرة من أبناء مصر فى النصف الأول من القرن العشرين.. عاش بينهم.. ومعهم كل معاناتهم فى البحث.. واللهث وراء لقمة العيش.. وراء تعليم الأبناء ذلك الترف الذى لم يكن مسموحاً به قبل الثورة لغير القادرين.. وكيف كان يقتص الأب الموظف البسيط من قوته.. وقوت أبناؤه ليعلمهم واحدًا وراء الآخر.. وكيف كان الأب يبخل على نفسه ببدلة جديدة.. أو حتى قميص.. أو حذاء حتى يشترى لابنه ملابس الدراسة كل عام..

ومن بين كل سمات عبد الناصر الشخصية وجدتنى أتوقف طويلاً.. ومنذ زمن عند لحظات الانكسار.. والانتصار فى حياة ذلك الرجل الذى أعشق طلة ملامحه المصرية الصميمة كلما طالعت صوره.. وأعشق لمعة الإرادة والتصميم اللذين يقفزان من نظرات عينيه فى كل صوره.. وأجدنى أبكى من داخلى وأنا أسمع نبرة صوته وهو يلقى خطاب تنحيه عن حكم مصر.. وأنظر إلى عينيه لحظة إلقائه كلمة التنحى فى خطابه الشهير لأستشعر فيها مزيجاً غريباً من الصمود.. والتحدى.. وعدم الرغبة فى الاستسلام لمرارة الهزيمة.. حتى وإن أصبحت أمراً واقعاً لا فرار منه.. يا الله ما أقوى ذلك الرجل حتى فى أصعب لحظات انكساره.. ما أشجعه وهو يعلن تحمله لكامل مسئولية ما حدث.. ورغبته فى العودة لصفوف الجماهير.. مواطنًا عاديًا.. ترس فى آلة ستعمل.. وتعمل من أجل تجاوز محنة الهزيمة..

ومن بين كل هذا وجدتنى من زمن طويل أتوقف عند لحظات الانتصار.. والانكسار فى حـ ياة الرجل لأرصد من خلالها مبرراتى الخاصة التى أقنع بها نفسى فى أسطورة الرجل.. فمثلى ـ من أجيال ما بعد مرحلة عبد الناصر ـ لم يسعدهم الحظ بعيش فترة حلم العروبة التى جسدها الرجل بكل اقتدار.

ومن هنا جاءت فكرة هذا الكتاب.. فما بين لحظات الانتصار.. والانكسار تكمن شفرة وكاريزما عبد الناصر..

عصام عبد الفتاح

elbtrawy@yahoo.com



تمهيد

مصر.. وناصر..
ثنائية استثنائية!!

عبر التاريخ وحتى هذه اللحظة.. فى حضارة ما قبل الإسلام والقومية.. ومع الإسلام.. ومع العروبة.. لا أحد يستطيع إنكار دور مصر المركزى.. بكل استنطاقات التاريخ.. ودراسات الأحداث.. وأفضل من تحدث عن شخصية مصر.. هو صاحب (شخصية مصر. دراسة فى عبقرية الزمان.. والمكان).. الدكتور جمال حمدان.. فماذا قال حمدان؟.. يقول:

(أما الموقع فقد ظل هو قلب العالم المعمور المتوسع.. ولقد أكدت الآفاق الجديدة.. خطورة موقع مصر.. ومع التوسع فى المعمورة.. زادت من توسطها وجعلها ركن الزاوية بحق بين عوالم وقارات.. أكثر منها مجرد نواة فى حلقة أو دائرة مغلقة .

انتهى عصر الاستعمار القديم وصفيت الامبراطورية.. وكانت مصر بالذات بكفاحها وتضحياتها وفدائها.. أحد أبرز عوامل هذه النهاية وتلك التصفية. وبسبب هذا الدور بالتحديد عوقبت بأشد مراحل ومظاهر الاستعمار عنفًا وبطشًا. لقد كان لها القيادة.. وكان للآخرين الاقتداء. كانت هى التى وضعت السابقة وضربت المثل ورسمت النموذج.. وسار الآخرون على خطاها.. وترسموا طريقها.

ومصر.. عبد الناصر.. فى التاريخ العربى الحديث.. هى:

- الدافع الرئيسى لضريبة الدم فى جميع معارك التحرير والصمود والبناء
- الدافع الرئيسى لفاتورة الحساب من اقتصادها ولقمة عيش أبنائها
- خط الدفاع الأول.. وخط الهجوم الأوحد فى مشروع التحرر والبناء العربى.

مصر.. عبد الناصر.. هى قائدة مشروع الشعوب والأمة العربية.

ونعود لجمال عبد الناصر.. الإنسان المتفاعل مع المكان.. عبد الناصر لم يتفاعل مع الجغرافيا والتاريخ فقط.. بل كان أساسًا وأساسيًا.. مضافًا تفاعله مع الإنسان المظلوم والمسحوق وصاحب المصلحة الحقيقية فى وطنه.

تعامل مع الجغرافيا بتلاحم تلك الجغرافيا مع الأمة..العامل البشرى.

وتعامل مع التاريخ ليس كمدونات وأحداث.. بل بمنطق من خلق وفعل التاريخ وجعله مسار أمة متفاعلة مع أحداثها.. وإستمد منه الدروس والأحكام والحكمة الثورية.

وتستيقظ الأمة العربية ذات يوم على حقيقة كانت بالنسبة لهم مريرة وهى أن عبدالناصر الإنسان.. مات ككل البشر..

والآن عندما يحتفى الناصريون والقوميون العرب كل عام بذكرى مولد.. ووفاة ذلك الزعيم الاستثنائى.. فإنما يعيشون بأحلامهم وذكرياتهم كل مناسبة يكون فيها للزعيم القائد جمال عبد الناصر بصمة فيها.. يحتفون ليس فقط من نظرة شخصانية لهذا القائد والرمز الكبير.. بل بما يمثله إنعكاسًا على أرض واقع الإنسان والوطن.. من تثبيت وتفعيل للهوية العربية.. إلى رفض ومقاومة كل أشكال الاستعمار وهيمناته المختلفة.. إلى العزة والكرامة.. رافعين مع ذكراه شعاره الأبقى ارفع رأسك يا أخى فقد ولى عهد الاستعباد.. وكأنه يرسم الخُطى إلى طريق العدالة والكفاية والبناء.. إلى رفع الاستغلال والعبودية.. إلى نصرة جميع الشعوب العربية فى محنها المختلفة ومعارك تحررها.. إلى أول تجسيد لفكرة الوحدة العربية..

الآن.. كل هذا.. يشكل المفقود فينا ومنا.. آمالاً وتطلعات وأمنيات لم تستطع هذه الأمة وأنظمتها وقواها السياسية.. من إنارة ضوء أمل وعمل فى حياة هذه الأمة.. إلا ما ندر من إرهاصات لهذا الضوء.

ومع كل عظمة وعطاء جمال عبد الناصر وطموحاته وإنجازاته.. وعندما يحتفى الجميع كل عام.. بيوم مولده ووفاته.. بيوم ثورته هو ورفاقه.. بتأميم قناة السويس

والعدوان الثلاثى.. بذكرى الوحدة والانفصال.. بحرب ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف وإرهاصات حرب ١٩٧٣ المسروق انتصارنا فيها.. بجميع الأحداث التى كان فاعلاً فى مجرياتها والتى أكثر من أن تعدد.. إنما يعيشون الحلم الاستثنائى.. حلم (مصر عبدالناصر)..

■ ■ ■



ناصر.. بورتريه أهم محطات حياة الزعيم!!

ملامح التكوين الأولى

فى الخامس عشر من يناير عام ١٩١٨.. وفى حى باكوس.. من ضواحى مدينة الإسكندرية فتح الزعيم الوطنى الراحل.. جمال عند الناصر عينيه لأول مرة على الدنيا.. فى مرحلة تاريخية عصيبة. كانت الأمة العربية قد حسمت أمرها مع الاستعمار التركى وكانت مصر.. قلب العروبة النابض.. قد وجدت نفسها مكبلة فى معاهدات واتفاقيات مع البريطانيين والفرنسيين.. تحد من حريتها وإرادتها.

وتكشفت نتائج الحرب العالمية الأولى عن وقوع الأمة العربية.. رغم تضحياتها وعطاءاتها تحت سيطرة الاستعمار الغربى. وكانت اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور هما التجسيد العملى لمرحلة الهيمنة الاستعمارية الجديدة.

نما الطفل وترعرع.. ومع تفتحه كانت الأشياء تتحرك من حوله بسرعة. كان وهو شاب يلحظ بقوة معارك سعد زغلول ومحاولات شعب مصر للتخلص من قيوده.. ومن جهة أخرى.. كان يلحظ عجز القوى السياسية التى اضطلعت بقيادة مشروع التغيير وفسادها.. لاحظ بأسى.. وهو طالب فى الكلية العسكرية.. ومن ثم وهو يُدَرِّسُ مادة الاستراتيجية لطلابه.. كيف اندفع الصهاينة فى تحقيق مشروعهم فى اكتساب أرض فلسطين وتشريد شعبها.. وكيف كانت المجابهة العربية الرسمية لذلك المشروع. تعلم وهو يدرس.. ومن ثم يُدَرِّسُ الاستراتيجية العسكرية أن عمق مصر يمتد إلى حدود شمال سوريا.. وإلى جنوب السودان..

اكتشف أن مصر المنكفئة على ذاتها مآلها الاندحار والفناء. كانت دراسة الطبوغرافيا والجغرافيا السياسية للمنطقة.. وقراءته لتجربة محمد على قد جذرت وعيه بفكرة الأمة العربية الواحدة... وكانت تجربة حرب ١٩٤٨م وفشل الجيوش العربية فى هزيمة المشروع الصهيونى والدفاع عن فلسطين وشعبها قد قادته إلى ادراك عجز الدولة القطرية عن تحقيق التنمية المستدامة وبناء جيش حقيقى قادر على الدفاع عن الوطن. وكان يؤمن فى أعماقه أن بناء الإنسان هو الطريق الصحيح لبناء الأوطان ومن هنا أصبحت جدلية الترابط بين الوحدة والحرية والتنمية والعدل الاجتماعى من بديهيات التزامه النضالى.

شارك فى حرب ١٩٤٨.. وشهد بأم عينيه حصار الفالوجة.. وتكشفت لديه خيانات الحكام العرب.. وآمن أن الطريق الصحيح هو أن تمسك الأمة العربية بمصائرها وأقدارها.. وأن تضطلع النُخب العربية.. فى كل ساحاتها بدور أساسى فى صناعة القرار السياسى.. ودحر عوامل التخاذل والعجز. وهكذا انتدب نفسه مع مجموعة من رفاقه لعملية التغيير.. وأسس جمعية الضباط الأحرار.

وكان الشعب فى مصر يلحظ كيف نخر الفساد والعجز جميع أجهزة الدولة.. وكيف هرمت هياكلها.. وأصبح جزء كبير منها تابعاً لهذا السيد أو ذاك.. خارج حدود مصر.. وبعيدا عن تطلعات شعبها وآماله فى الحرية. وكان نداء الضمير يرفع عاليا شعار الكرامة.. الكرامة التى مثلث حق الإنسان فى الدفاع عن الأرض والشرف والمقدسات والحقوق...

ويوم شب حريق القاهرة.. كان الجميع فى انتظار عاصفة ما.. عاصفة تطيح بالرءوس.. وتعلن ميلاد فجر جديد واعد لمصر.. تضعها فى مكانها الصحيح فى الخارطة العربية والدولية. وصبيحة الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢م كان ذلك اختزالاً لكل الأمانى والتطلعات وكان يوم الأيام..

الإنسان هو بوصلة عبد الناصر الحقيقية:

كانت البوصلة واضحة بالنسبة لعبد الناصر.. الإنسان هو الهدف المركزى.. وحوله تتحلق جملة الأهداف الكبرى منها والصغرى. التعليم والعلاج المجانى وتوفير السكن والماء والكهرباء.. وتوزيع الأراضى على الفلاحين وتحقيق التنمية بخطى متسارعة. ومن أجل ذلك.. وعلى خطى هذه الأهداف.. تم تأميم قناة السويس وبناء سد أسوان.. ومعامل أبو زعبل والصناعات الثقيلة فى حلوان. وإعادة بناء القوات المسلحة بما يؤمن حماية مصر والدفاع عن الأمة العربية وآمالها فى التحرر والانعتاق.

خاضت مصر بقيادة عبد الناصر معركة البناء والتنمية.. والعدل الاجتماعى.. وخاضت أيضا معركة الكرامة والدفاع عن الأمة العربية.. وترسخت فى تلك المرحلة ثوابت مصر فى الحياد الإيجابى وعدم الانحياز إلى الأحلاف العسكرية . ودعم حركات التحرر الوطنية فى الجزائر والمغرب العربى واليمن الجنوبى وعمان.. كما دعم ثورتى تموز فى العراق وأيلول فى اليمن الشمالى بدون حدود. وفى كل بقعة رفع المناضلون العرب فيها راية التحرير والاستقلال كانت ثورة يوليو بقيادة المُعَلم حاضرة تقدم الدعم والتأييد.. دون قيد أو شرط عدا الالتزام بثوابت الأمة ومنطلقات نهضتها وشموخها.

خاض عبد الناصر.. بقوة وتصميم معركة البناء والدفاع عن الأمة العربية.. انتصر فى معارك كثيرة وخسر معارك أخرى. انتصر فى عام ١٩٥٦.. عندما واجه العدوان الثلاثى الغاشم. وانتصر فى معركة التنمية وبناء الإنسان.. انتصر فى بناء جيش وطنى.. انتصر فى جعل مصر قبلة لكل الثوار فى العالم.. وانتصر فى الدفاع عن الجمهورية باليمن.. وأكثر من ذلك فإنه انتصر فى جعل الأمة العربية حقيقة حية.. حيث أصبح النضال القومى فى عهده محركًا للنضالات الوطنية فى الساحة العربية من محيطها إلى خليجها. وانتصر فى جعل مفهوم الوحدة من بديهيات الثوابت فى الوطن العربى الكبير. خسر فى عام ١٩٦٧ معركة المواجهة مع الكيان الصهيونى فى عدوانه بالخامس من يونيو.. لكنه فى تلك اللحظة أطلق صرخته الجلية أن ما أخذ بالقوة لن

يعود بغير القوة.. وفى مؤتمر القمة بالخرطوم عبر عن إصرار جماهير الأمة العربية وتمسكها باللاءات الثلاثة: لا صلح.. لا اعتراف ولا مفاوضات.. وكانت معركة الاستنزاف والصمود الأسطورى للجيش المصرى فى تلك المعركة هو التعبير الحقيقى عن الالتزام بثوابت الأمة. وكان اكتشافه مبكرًا جدًا لأهمية أن يكون للفلسطينيين صوت منهم.. ناطق بإسمهم.. وممثلاً لهم فى المحافل والمؤسسات الدولية. ولذلك كان طبيعيًا أن يكون دوره أساسيًا ومركزيًا فى تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية. وفى مرحلة لاحقة فى دعم كفاحها الوطنى المسلح بكل قوة.

وأثناء مواجهة الفلسطينيين مع الملك حسين فى حرب أيلول الأسود.. سبتمبر عام ١٩٧٠م.. وقف عبد الناصر مدافعًا عن شعب فلسطين وعن الوحدة العربية.. ودعا القادة العرب إلى تحمل مسئولياتهم فى الدفاع عن المقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطينى..

ناصر.. والمرأة

محطات فى حياة الزعيم كيف كان ينظر الرئيس المصرى والزعيم العربى الراحل جمال عبدالناصر للمرأة؟ وكيف كان يقضى وقته؟.. سطور تحاول الاقتراب من عبدالناصر الإنسان.

لحظة الانكسار الأولى

تناول أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر الدكتور عبد المنعم الجميعى المرأة فى حياة عبد الناصر بداية من والدته التى توفيت أثناء غيابه عنها لتواجده فى القاهرة للدراسة.. ولم يبلغه أحد بذلك ولما عاد إلى الخطاطبة مقر إقامتها على أمل لقائها وجد سيدة أخرى قد حلت محلها ولما سألها عن سبب تواجدها قالت له إنها زوجة أبيه مما جعله يحس بالصدمة.. وجعل المحللين النفسيين من أعدائه بالغرب يرجعون عناده وطموحه الزائد.. وسوء علاقته بوالده ورغبته فى إهانة الرجال وتعذيبهم.. إلى تلك الواقعة.

اما قرينته السيدة تحية كاظم فقد تحملت أعباء أسرته خاصة فى مرحلة الإعداد للثورة واستكمال خلايا الضباط الأحرار خاصة عندما كان فى حرب فلسطين.. ثم عاشت فى كنفه حياة هادئة دون أن تكون طرفًا فى أى جدل سياسى.

وعن المرأة فى سياسات عبد الناصر يقول د. الجميعى: إنه كان يراها نصف المجتمع وعليها مسئولية كبيرة لتشارك الرجل فى بناء الوطن.. ومن هنا فقد سمح لها بمباشرة الحقوق السياسية بعد أن أقر دستور ١٩٥٦ الذى أقر للمرة الأولى حق المساواة بين الرجل والمرأة واعطاها لأول مرة حق المشاركة فى الانتخابات ترشيحا وانتخابا.

ونتيجة لإعلان القوانين الاشتراكية عام ١٩٦١ التزمت الدولة بالمساواة بين الجنسين حيث أتاح قانون العمل الجديد للمرأة بأن تقوم بأعمال مساوية لأعمال الرجل والحصول على أجور متساوية. كما قرر عبد الناصر أن يدخل المرأة الوزارة لأول مرة فأمر بتعيين الدكتورة حكمت أبو زيد كوزيرة للشئون الاجتماعية فى ٢٩ سبتمبر ١٩٦٢م فى وزارة على صبرى الأولى والثانية.

مع العائلة

سرد المشاركون بعض السمات الشخصية لعبد الناصر الذى كان يحب السينما لدرجة انه كان يشاهد ثلاثة أفلام كل ليلة.. ومن أقوى المؤثرات فى حياته فيلم «يا لها من حياة رائعة» إخراج فرانك كابرا.. وكثيرًا ما تدخل وصرح بعرض الأفلام التى منعتها الرقابة مثل: أريد أن أعيش.. شىء من الخوف.. ميرامار.. ثرثرة فوق النيل.. يوميات نائب فى الأرياف.

وكان يحب الراديو ويحفظ مواعيد نشرات الأخبار فى الإذاعات المختلفة.. وكان يحتفظ بالراديو فى مكتبه وحجرة نومه دائما مفتوحًا.

عندما كان يشعر بالملل من ضغوط العمل.. كان يذهب إلى استراحة المعمورة.. خاصة فى فصل الصيف.. وعندما زاد عليه المرض نصحه الاطباء ببناء حمام سباحة فى منزله لكنه رفض.. لان تكلفته ستتعدى خمسة آلاف جنيه.

وعُرف عن عبدالناصر انه لم يكن أكولاً.. ولا يهتم بالطعام كثيرًا.. لكنه عُرف عنه أيضًا كونه يحب الجبنة البيضاء وعصير الليمون والبرتقال.. وسمح له طبيبه الخاص بأكل تفاح وصله على سبيل الهدية من لبنان.. لانه لم يشكل خطورة على صحته عندما بدأت تهاجمه الأمراض.

لم يبالغ فى استخدام الأدوات المكتبية حيث كان يتميز بقوة الذاكرة لدرجة انه يتذكر تقريرًا بالكامل.. كان يطالع الصحف ويتناول غداءه فى الثانية والنصف ظهرا.. وبعد الغداء يقرأ مجموعة اخرى من الصحف والمجلات.

منزله فى منشية البكرى.. كان مكونًا من طابقين وحديقة واسعة.. لكنه لم يكن يشبه القصور.. وكانت حجرة مكتبه تقع فى الدور الأرضى يسارًا.. والصالون يمينًا.. وحجرة نومه فى الدور فوق الأرضى.. وإلى جوارها حجرة نوم زوجته.. ويفصل بينهما الحمام ومائدة الطعام فى الصالة الرئيسية.. وملابس عبدالناصر كانت صناعة مصرية.. وكان يفضل البيجامة ذات الخطوط الطولية.. ويفصل قمصانه عند الترزى الخاص به.

عش بشرفك ومت بكبريائك

يروى الكاتب والأديب محمود الكردوسى فى مذكراته الخاصة: كان لدى أبى دكان صغير: شاى وسكر وصابون وعدس وزيت وملح وسجائر.. وعلى واجهة الدكان صورة ملصوقة بالغراء للرئيس جمال عبدالناصر: الكتفان بعرض الصورة.. لكن الوجه أوسع من الأفق.. كان أبى يبيع ويشترى بـ «المليم» وكان يلف بضاعته الفقيرة فى ورق جرائد:

عبدالناصر يخطب... عبدالناصر يتحدى.. عبدالناصر يبحث.. وكان القرش على القرش ثروة.. كانت صورة عبدالناصر تتكفئ قليلاً فوق رأس ناظر المدرسة.. وكانت أصواتنا تتدلع من الفناء: تحيا الجمهورية العربية المتحدة.. عاش الرئيس جمال عبدالناصر.. ثم تحلق فى خلاء القرية مثل غيمة.. فتتكسف الشمس دقائق.. ثم تخرج على الناس.. كان رزقنا حلالاً وخوفنا حلالاً وغناؤنا حلالاً. كان كل شىء فى حياتنا

حلالاً طيبًا.. لأن أبانا يحبنا ويحرسنا ويعطف علينا.. يجلس معنا على عتبات البيوت وأسطح الأفران فى زمهرير الشتاء.. ويستظل بصفصافنا ونخيلنا فى قيظ الصيف.. كان يتمدد فى الحلم والحكاية الموال.. وحتى فى الخرافة: لو أبوك جمال.. عدى البحر من غير ما تتبل لا شأن لنا بـ متى ولد ومتى يموت ومتى يبعث حيا.. أين يعيش وكيف وماذا يأكل ويلبس!.. هل يضحك ويبكى مثلنا؟ هل يمشى على الأرض فيحرقها.. أم على مجرة بين سماءين؟.. ما اسم زوجته.. وكم ولدًا لديه وكم بنتًا؟.. وما كتابه المفضل وأغنيته المفضلة؟.. أهو أهلاوى أم زملكاوى؟ لا شأن لنا بكل ذلك لأن أبانا ليس دمًا ولحمًا مثلنا.. بل شظية ضوء اندلعت حين التقى فى قلوب الرعايا صوته المجلجل بصورته المعلقة على واجهة دكان أبى.. وكان أبى يقول لى مزهوًا: عش بشرفك ومت بكبريائك. لتراه فى الجنة

ورحل عبد الناصر.. إلى العالم الآخر.. فى فترة كنا أحوج ما نكون فيها لحكمته ونضاله وقيادته..

ورحل عبد الناصر.. ولم يزل ساكنًا قلوبنا فارسًا يأبى الترجل.. واستمر بمبادئه.. بعد رحيله.. محاربًا رافضًا أن نسلم قيادة أمتنا بكل تاريخها إلى عابث أو مستعمر أو متغطرس.. وباسمه مازالت ترتفع فى الأزقة والحوارى فى كل شارع مصرى.. وعربى.. شعارات الحرية والكرامة.. بقى ولا يزال عصيا مؤمنا بشعبه.. ومقاومًا باسلاً يأبى الترجل.

■■■



ناصر.. النشأة.. والبدايات !!

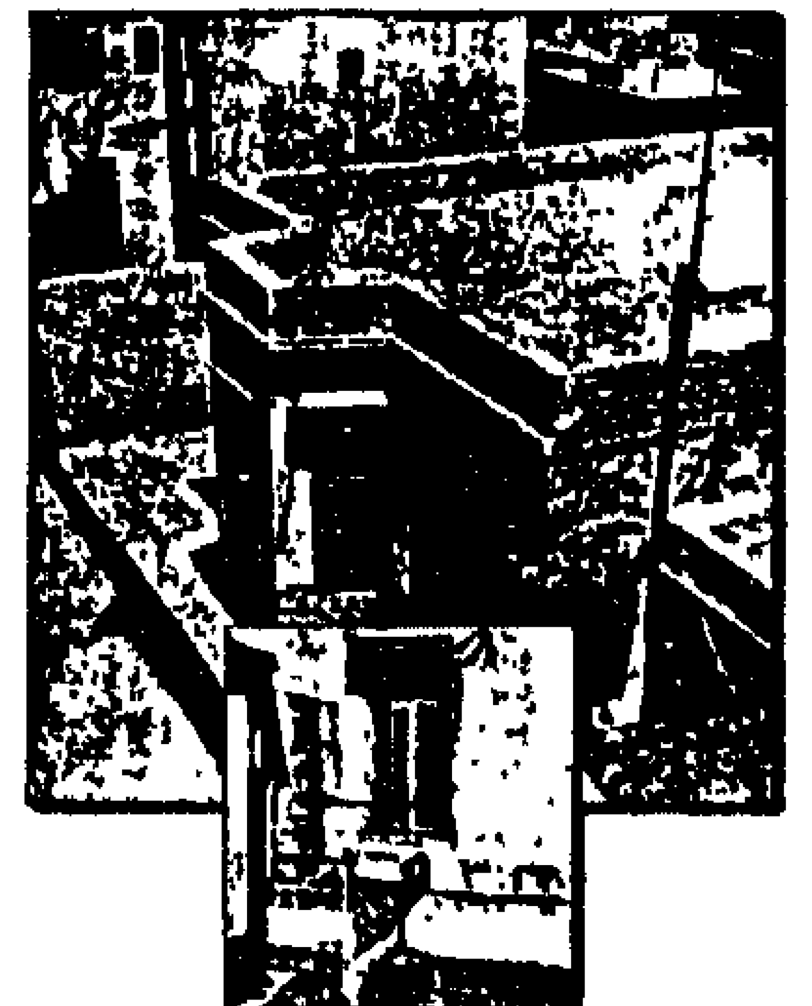


ولد جمال عبد الناصر فى ١٥ يناير ١٩١٨ فى ١٨ شارع قنوات فى حى باكوس الشعبى بالإسكندرية.



عبد الناصر وهو طفل صغير فى صورة نادرة مع والده

كان جمال هو الابن الأكبر لعبد الناصر حسين الذى ولد فى عام ١٨٨٨ فى قرية بنى مر فى صعيد مصر فى أسرة من الفلاحين.. ولكنه حصل على قدر من التعليم سمح له بأن يلتحق بوظيفة فى مصلحة البريد بالإسكندرية..وكان مرتبه يكفى بصعوبة لسداد ضرورات الحياة.



المنزل الذى ولد.. وتربى فيه جمال عبد الناصر فى حى باكوس بالإسكندرية

جمال عبد الناصر فى المرحلة الابتدائية:

التحق جمال عبد الناصر بروضة الأطفال بمحرم بك بالإسكندرية.. ثم التحق بالمدرسة الابتدائية بالخطاطبة فى الفترة ما بين عامى(١٩٢٣ ـ ١٩٢٤).. وفى عام ١٩٢٥ دخل جمال مدرسة النحاسين الابتدائية بالجمالية بالقاهرة وأقام عند عمه خليل حسين فى أحد الأحياء الشعبية بالقاهرة لمدة ثلاث سنوات.. وكان جمال يسافر لزيارة أسرته بالإسكندرية فقط أثناء العطلات الدراسية.



ناصر فى البكالوريا

فقدان الأم.. لحظة الانكسار الأولى..

وعند عودته لقضاء إجازة الصيف عام ١٩٢٦ علم أن والدته قد توفيت قبل ذلك بأسابيع ولم يجد أحد الشجاعة لإبلاغه بموتها.. ولكنه اكتشف ذلك بنفسه بطريقة هزت كيانه كما ذكر لـ دافيد مورجان مندوب صحيفة الصنداى تايمز ثم أضاف: لقد كان فقدانى لأمى فى حد ذاته أمراً محزناً للغاية.. فقد كان فقدها بهذه الطريقة.. وعدم توديعى إياها صدمة تركت فىَّ شعوراً لا يمحوه الزمن.. وقد جعلتنى آلامى وأحزانى الخاصة فى تلك الفترة أجد مضضاً بالغاً فى إنزال الآلام والأحزان بالغير فى مستقبل السنين.

وبعد أن أتم جمال السنة الثالثة فى مدرسة النحاسين بالقاهرة.. أرسله والده فى صيف ١٩٢٨ عند جده لوالدته فقضى السنة الرابعة الابتدائية فى مدرسة العطارين بالإسكندرية.



جمال عبد الناصر فى المرحلة الثانوية

التحق جمال عبد الناصر فى عام ١٩٢٩ بالقسم الداخلى فى مدرسة حلوان الثانوية وقضى بها عاماً واحداً.. ثم نقل فى العام التالى ١٩٣٠ إلى مدرسة رأس التين الثانوية بالإسكندرية بعد أن انتقل والده إلى العمل بمصلحة البوستة هناك.

وفى تلك المدرسة تكون وجدان جمال عبد الناصر القومى.. ففى عام ١٩٣٠ استصدرت وزارة إسماعيل صدقى مرسوماً ملكياً بإلغاء دستور ١٩٢٣ فثارت مظاهرات الطلبة تهتف بسقوط الاستعمار وبعودة الدستور.

أول مظاهرة:

ويحكى جمال عبد الناصر عن أول مظاهرة اشترك فيها: كنت أعبر ميدان المنشية فى الإسكندرية حين وجدت اشتباكاً بين مظاهرة لبعض التلاميذ وبين قوات من البوليس.. ولم أتردد فى تقرير موقفى.. فلقد انضممت على الفور إلى المتظاهرين.. دون أن أعرف أى شىء عن السبب الذى كانوا يتظاهرون من أجله.. شعرت أننى فى غير حاجة إلى سؤال.. لقد رأيت أفراداً من الجماهير فى صدام مع السلطة.. واتخذت موقفى دون تردد فى الجانب المعادى للسلطة.

القبض على الثائر الصغير..

ومرت لحظات سيطرت فيها المظاهرة على الموقف.. لكن سرعان ما جاءت إلى المكان الإمدادات.. حمولة لوريين من رجال البوليس لتعزيز القوة.. وهجموا علينا.. وإنى لأذكر أننى فى محاولة يائسة ألقيت حجراً.. لكنهم أدركونا فى لمح البصر..

وحاولت أن أهرب.. لكننى حين التفت هوت على رأسى عصا من عصى البوليس.. تلتها ضربة ثانية حين سقطت.. ثم شحنت إلى الحجز والدم يسيل من رأسى مع عدد من الطلبة الذين لم يستطيعوا الإفلات بالسرعة الكافية.

ولما كنت فى قسم البوليس.. وأخذوا يعالجون جراح رأسى.. سألت عن سبب المظاهرة.. فعرفت أنها مظاهرة نظمتها جماعة مصر الفتاة فى ذلك الوقت للاحتجاج على سياسة الحكومة.

وقد دخلت السجن تلميذاً متحمساً.. وخرجت منه مشحوناً بطاقة من الغضب ويعود جمال عبد الناصر إلى هذه الفترة من حياته فى خطاب له بميدان المنشية بالإسكندرية ليصف أحاسيسه فى تلك المظاهرة وما تركته من آثار فى نفسه: حينما بدأت فى الكلام اليوم فى ميدان المنشية.. سرح بى الخاطر إلى الماضى البعيد... وتذكرت كفاح الإسكندرية وأنا شاب صغير وتذكرت فى هذا الوقت وأنا اشترك مع أبناء الإسكندرية.. وأنا أهتف لأول مرة فى حياتى باسم الحرية وباسم الكرامة.. وباسم مصر.. أطلقت علينا طلقات الاستعمار فمات من مات وجرح من جرح.. ولكن خرج من بين هؤلاء الناس شاب صغير شعر بالحرية وأحس بطعم الحرية.. وآلى على نفسه أن يجاهد وأن يكافح وأن يقاتل فى سبيل الحرية التى كان يهتف بها ولا يعلم معناها.. لأنه كان يشعر بها فى نفسه.. وكان يشعر بها فى روحه وكان يشعر بها فى دمه. لقد كانت تلك الفترة بالإسكندرية مرحلة تحول فى حياة الطالب جمال من متظاهر إلى ثائر تأثر بحالة الغليان التى كانت تعانى منها مصر بسبب تحكم الاستعمار وإلغاء الدستور.. وقد ضاق المسئولون بالمدرسة بنشاطه ونبهوا والده فأرسله إلى القاهرة.

وقد التحق جمال عبد الناصر فى عام ١٩٣٣ بمدرسة النهضة الثانوية بحى الظاهر بالقاهرة.. واستمر فى نشاطه السياسى فأصبح رئيس اتحاد مدارس النهضة الثانوية. وفى تلك الفترة ظهر شغفه بالقراءة فى التاريخ والموضوعات الوطنية فقرأ عن الثورة الفرنسية وعن روسو وفولتير وكتب مقالة بعنوان فولتير رجل الحرية نشرها بمجلة

المدرسة. كما قرأ عن نابليون والإسكندر ويوليوس قيصر وغاندى وقرأ رواية البؤساء لـ «فيكتور هوجو» وقصة مدينتين لـ «شارلز ديكنز».

كذلك اهتم بالإنتاج الأدبى العربى فكان معجباً بأشعار أحمد شوقى وحافظ إبراهيم.. وقرأ عن سيرة النبى محمد وعن أبطال الإسلام وكذلك عن مصطفى كامل.. كما قرأ مسرحيات وروايات توفيق الحكيم خصوصاً رواية عودة الروح التى تتحدث عن ضرورة ظهور زعيم للمصريين يستطيع توحيد صفوفهم ودفعهم نحو النضال فى سبيل الحرية والبعث الوطنى.

وفى ١٩٣٥ فى حفل مدرسة النهضة الثانوية لعب الطالب جمال عبد الناصر دور يوليوس قيصر بطل تحرير الجماهير فى مسرحية شكسبير فى حضور وزير المعارف فى ذلك الوقت.

وقد شهد عام ١٩٣٥ نشاطاً كبيراً للحركة الوطنية المصرية التى لعب فيها الطلبة الدور الأساسى مطالبين بعودة الدستور والاستقلال.. ويكشف خطاب من جمال عبدالناصر إلى أحد أصدقائه فى ٤ سبتمبر ١٩٣٥ مكنون نفسه فى هذه الفترة.. فيقول: لقد انتقلنا من نور الأمل إلى ظلمة اليأس ونفضنا بشائر الحياة واستقبلنا غبار الموت.. فأين من يقلب كل ذلك رأساً على عقب.. ويعيد مصر إلى سيرتها الأولى يوم أن كانت مالكة العالم؟.. أين من يخلق خلفاً جديداً لكى يصبح المصرى الخافت الصوت الضعيف الأمل الذى يطرق برأسه ساكناً صابراً على اهتضام حقه ساهياً عن التلاعب بوطنه يقظاً عالى الصوت عظيم الرجاء رافعاً رأسه يجاهد بشجاعة وجرأة فى طلب الاستقلال والحرية... قال مصطفى كامل لو نقل قلبى من اليسار إلى اليمين أو تحرك الأهرام من مكانه المكين أو تغير مجرى (النيل) فلن أتغير عن المبدأ... كل ذلك مقدمة طويلة لعمل أطول وأعظم فقد تكلمنا مرات عدة فى عمل يوقظ الأمة من غفوتها ويضرب على الأوتار الحساسة من القلوب ويستثير ما كمن فى الصدور. ولكن كل ذلك لم يدخل فى حيز العمل إلى الآن.

وبعد ذلك بشهرين وفور صدور تصريح صمويل هور وزير الخارجية البريطانية فى ٩ نوفمبر١٩٣٥ معلناً رفض بريطانيا لعودة الحياة الدستورية فى مصر.. اندلعت مظاهرات الطلبة والعمال فى البلاد.. وقاد جمال عبد الناصر فى ١٣ نوفمبر مظاهرة من تلاميذ المدارس الثانوية واجهتها قوة من البوليس الإنجليزى فأصيب جمال بجرح فى جبينه سببته رصاصة مزقت الجلد ولكنها لم تنفذ إلى الرأس.. وأسرع به زملاؤه إلى دار جريدة الجهاد التى تصادف وقوع الحادث بجوارها ونشر اسمه فى العدد الذى صدر صباح اليوم التالى بين أسماء الجرحى.

وعن آثار أحداث تلك الفترة فى نفسية جمال عبد الناصر قال فى كلمة له فى جامعة القاهرة فى ١٥ نوفمبر ١٩٥٢: وقد تركت إصابتى أثراً عزيزاً لا يزال يعلو وجهى فـ يذكرنى كل يوم بالواجب الوطنى الملقى على كاهلى كفرد من أبناء هذا الوطن العزيز. وفى هذا اليوم وقع صريع الظلم والاحتلال المرحوم عبد المجيد مرسى فأنسانى ما أنا مصاب به.. ورسخ فى نفسى أن على واجباً أفنى فى سبيله أو أكون أحد العاملين فى تحقيقه حتى يتحقق.. وهذا الواجب هو تحرير الوطن من الاستعمار.. وتحقيق سيادة الشعب. وتوالى بعد ذلك سقوط الشهداء صرعى.. فازداد إيمانى بالعمل على تحقي ق حرية مصر.

وتحت الضغط الشعبى وخاصة من جانب الطلبة والعمال صدر مرسوم ملكى فى ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ بعودة دستور ١٩٢٣.

وقد انضم جمال عبد الناصر فى هذا الوقت إلى وفود الطلبة التى كانت تسعى إلى بيوت الزعماء تطلب منهم أن يتحدوا من أجل مصر.. وقد تألفت الجبهة الوطنية سنة ١٩٣٦ بالفعل على أثز هذه الجهود.

وفى خطابه السابق الإشارة إليه إلى أحد أصدقائه قال ناصر: يقول الله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ .. فأين تلك القوة التى نستعد بها لهم.. إن الموقف اليوم دقيق ومصر فى موقف أدق...

فلسفة الثورة:

ووصف جمال عبد الناصر شعوره فى كتاب فلسفة الثورة فقال: وفى تلك الأيام قدت مظاهرة فى مدرسة النهضة.. وصرخت من أعماقى بطلب الاستقلال التام.. وصرخ ورائى كثيرون.. ولكن صراخنا ضاع هباء وبددته الرياح أصداء واهية لا تحرك الجبال ولا تحطم الصخور.

إلا أن اتحاد الزعماء السياسيين على كلمة واحدة كان فجيعة لإيمان جمال عبد الناصر.. على حد تعبيره فى كتاب فلسفة الثورة.. فإن الكلمة الواحدة التى اجتمعوا عليها كانت معاهدة ١٩٣٦ التى قننت الاحتلال.. فنصت على أن تبقى فى مصر قواعد عسكرية لحماية وادى النيل وقناة السويس من أى اعتداء.. وفى حال وقوع حرب تكون الأراضى المصرية بموانيها ومطاراتها وطرق مواصلاتها تحت تصرف بريطانيا.. كما نصت المعاهدة على بقاء الحكم الثنائى فى السودان.

وكان من نتيجة النشاط السياسى المكثف لجمال عبد الناصر فى هذه الفترة الذى رصدته تقارير البوليس أن قررت مدرسة النهضة فصله بتهمة تحريضه الطلبة على الثورة.. إلا أن زملاءه ثاروا وأعلنوا الإضراب العام وهددوا بحرق المدرسة فتراجع ناظر المدرسة فى قراره.

مولد ناصر السياسى

ومنذ المظاهرة الأولى التى اشترك فيها جمال عبد الناصر بالإسكندرية شغلت السياسة كل وقته.. وتجول بين التيارات السياسية التى كانت موجودة فى هذا الوقت فانضم إلى مصر الفتاة لمدة عامين.. ثم انصرف عنها بعد أن اكتشف أنها لا تحقق شيئاً.. كما كانت له اتصالات متعددة بالإخوان المسلمين إلا أنه قد عزف عن الانضمام لأى من الجماعات أو الأحزاب القائمة لأنه لم يقتنع بجدوى أى منها.فلم يكن هناك حزب مثالى يضم جميع العناصر لتحقيق الأهداف الوطنية.

كذلك فإنه وهو طالب فى المرحلة الثانوية بدأ الوعى العربى يتسلل إلى تفكيره.. فكان يخرج مع زملائه كل عام فى الثانى من شهر نوفمبر احتجاجاً على وعد بلفور الذى منحت به بريطانيا لليهود وطناً فى فلسطين على حساب أصحابه الشرعيين.

جمال عبد الناصر ضابطاً

لما أتم جمال عبد الناصر دراسته الثانوية وحصل على البكالوريا فى القسم الأدبى قرر الالتحاق بالجيش.. ولقد أيقن بعد التجربة التى مر بها فى العمل السياسى واتصالاته برجال السياسة والأحزاب التى أثارت اشمئزازه منهم أن تحرير مصر لن يتم بالخطب بل يجب أن تقابل القوة بالقوة والاحتلال العسكرى بجيش وطنى.

تقدم جمال عبد الناصر إلى الكلية الحربية فنجح فى الكشف الطبى ولكنه سقط فى كشف الهيئة لأنه حفيد فلاح من بنى مر وابن موظف بسيط لا يملك شيئاً.. ولأنه اشترك فى مظاهرات ١٩٣٥.. ولأنه لا يملك واسطة.



ناصر طالباً بكلية الحقوق

الكلية الحربية ترفض قبول جمال

ولما رفضت الكلية الحربية قبول جمال.. تقدم فى أكتوبر ١٩٣٦ إلى كلية الحقوق فى جامعة القاهرة ومكث فيها ستة أشهر إلى أن عقدت معاهدة ١٩٣٦ واتجهت النية إلى زيادة عدد ضباط الجيش المصرى من الشباب بصرف النظر عن طبقتهم الاجتماعية أو ثروتهم.. فقبلت الكلية الحربية دفعة فى خريف ١٩٣٦ وأعلنت وزارة الحربية عن حاجتها لدفعة ثانية.. فتقدم جمال مرة ثانية للكلية الحربية وتوصل إلى

مقابلة وكيل وزارة الحربية اللواء إبراهيم خيرى الذى أعجب بصراحته ووطنيته وإصراره على أن يصبح ضابطاً فوافق على دخوله فى الدورة التالية.. أى فى مارس ١٩٣٧.



ناصر.. طالب فى الكلية الحربية

لقد وضع جمال عبد الناصر أمامه هدفاً واضحاً فى الكلية الحربية وهو أن يصبح ضابطاً كفؤاً وأن يكتسب المعرفة والصفات التى تسمح له بأن يصبح قائداً.. وفعلاً أصبح رئيس فريق.. وأسندت إليه منذ أوائل ١٩٣٨ مهمة تأهيل الطلبة المستجدين الذين كان من بينهم عبد الحكيم عامر. وطوال فترة الكلية لم يوقع على جمال أى جزاء.. كما رقى إلى رتبة أومباشى طالب.

تخرج جمال عبد الناصر فى الكلية الحربية بعد مرور ١٧ شهراً.. أى فى يوليو ١٩٣٨.. فقد جرى استعجال تخريج دفعات الضباط فى ذلك الوقت لتوفير عدد كافٍ من الضباط المصريين لسد الفراغ الذى تركه انتقال القوات البريطانية إلى منطقة قناة السويس.

وقد كانت مكتبة الكلية الحربية غنية بالكتب القيمة.. فمن لائحة الاستعارة تبين أن جمال قرأ عن سير عظماء التاريخ مثل بونابرت والإسكندر وجاليباردى وبسمارك ومصطفى كمال أتاتورك وهندنبرج وتشبرشل وفوش. كما قرأ الكتب التى تعالج شئون الشرق الأوسط والسودان ومشكلات الدول التى على البحر المتوسط والتاريخ العسكرى.. وكذلك قرأ عن الحرب العالمية الأولى وعن حملة فلسطين.. وعن تاريخ ثورة ١٩١٩.



الملازم ثان عبد الناصر

التحق جمال عبد الناصر فور تخرجه بسلاح المشاة ونقل إلى منقباد فى الصعيد.. وقد أتاحت له إقامته هناك أن ينظر بمنظار جديد إلى أوضاع الفلاحين وبؤسهم. وقد التقى فى منقباد بكل من زكريا محيى الدين وأنور السادات.

وفى عام ١٩٣٩ طلب جمال عبد الناصر نقله إلى السودان.. فخدم فى الخرطوم وتحديداً فى منطقة جبل الأولياء.. وهناك قابل زكريا محيى الدين وعبد الحكيم عامر. وفى مايو ١٩٤٠ رقى إلى رتبة الملازم أول.



دفعة عبد الناصر فى الكلية الحربية.. ناصر الأول وقوفاً من الصف الثانى إلى اليمين

أيام عبد الناصر فى السودان

لقد كان الجيش المصرى حتى ذلك الوقت جيشاً غير مقاتل.. وكان من مصلحة البريطانيين أن يبقوه على هذا الوضع.. ولكن بدأت تدخل الجيش طبقة جديدة من الضباط الذين كانوا ينظرون إلى مستقبلهم فى الجيش كجزء من جهاد أكبر لتحرير شعبهم.. ذهب جمال إلى منقباد تملؤه المثل العليا.. ولكنه ورفقاءه أصيبوا بخيبة الأمل، فقد كان معظم الضباط عديمى الكفاءة وفاسدين.. ومن هنا اتجه

تفكيرهم إلى ضرورة إصلاح الجيش وتطهيره من الفساد.. وقد كتب لصديقه حسن النشار فى ١٩٤١ من جبل الأولياء بالسودان «على العموم يا حسن أنا مش عارف ألاقيها منين واللامنين.. هناك كان كل عيبى فى عملى إنى دغرى لا أعرف التملق ولا الكلمات الحلوة ولا التمسح بالأذيال».

شخص هذه صفاته يُحترم من الجميع ولكن.. الرؤساء.. الرؤساء يا حسن يسوءهم ذلك الذى لا يسبح بحمدهم.. يسوءهم ذلك الذى لا يتملق إليهم.. فهذا كبرياء وهم شبوا على الذلة فى كنف الاستعمار.. يقولون.. كما كنا يجب أن يكونوا. كما رأينا يجب أن يروا.. والويل كل الويل لذلك.. الذى تأبى نفسه السير على منوالهم.. ويحزننى يا حسن أن أقول إن هذا الجيل الجديد قد أفسده الجيل القديم متملقاً.. ويحزننى يا حسن أن أقول أننا نسير إلى الهاوية.. الرياء.. النفاق.. الملق تفشى فى الأصاغر نتيجة لمعاملة الكبار.. أما أنا فقد صمدت ومازلت.. ولذلك تجدنى فى عداء مستحكم مستمر مع هؤلاء الكبار..

وفى نهاية عام ١٩٤١ بينما كان روميل يتقدم نحو الحدود المصرية الغربية عاد جمال عبد الناصر إلى مصر ونقل إلى كتيبة بريطانية تعسكر خلف خطوط القتال بالقرب من العلمين.

بذور الثورة

ويذكر جمال عبد الناصر: فى هذه المرحلة رسخت فكرة الثورة فى ذهنى رسوخاً تاماً.. أما السبيل إلى تحقيقها فكان لا يزال بحاجة إلى دراسة.. وكنت يومئذ لا أزال أتحسس طريقى إلى ذلك.. وكان معظم جهدى فى ذلك الوقت يتجه إلى تجميع عدد كبير من الضباط الشبان الذين أشعر أنهم يؤمنون فى قراراتهم بصالح الوطن.. فبهذا وحده كنا نستطيع أن نتحرك حول محور واحد هو خدمة هذه القضية المشتركة.

وأثناء وجوده فى العلمين جرت أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ حينما توجه السفير البريطانى السير مايلز لامسبون ليقابل الملك فاروق بسراى عابدين فى القاهرة بعد

أن حاصر القصر بالدبابات البريطانية.. وسلم الملك إنذاراً يخيره فيه بين إسناد رئاسة الوزراء إلى مصطفى النحاس مع إعطائه الحق فى تشكيل مجلس وزراء متعاون مع بريطانيا وبين الخُلع.. وقد سلم الملك بلا قيد ولا شرط.

ويذكر جمال عبد الناصر أنه منذ ذلك التاريخ لم يعد شيء كما كان أبداً.. فكتب إلى صديقه حسن النشار فى ١٦ فبراير ١٩٤٢ يقول: وصلنى جوابك.. والحقيقة أن ما به جعلنى أغلى غلياناً مراً.. وكنت على وشك الانفجار من الغيظ.. ولكن ما العمل بعد أن وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين خائفين. والحقيقة أننى أعتقد أن الإنجليز كانوا يلعبون بورقة واحدة فى يدهم بغرض التهديد فقط.. ولكن لو كانوا أحسوا أن بعض المصريين ينوون التضحية بدمائهم ويقابلون القوة بالقوة لانسحبوا كأى امرأة من العاهرات.

أما نحن.. أما الجيش فقد كان لهذا الحادث تأثير جديد على الوضع والإحساس فيه.. فبعد أن كنت ترى الضباط لا يتكلمون إلا عن النساء واللهو.. أصبحوا يتكلمون عن التضحية والاستعداد لبذل النفوس فى سبيل الكرامة.

وأصبحت تراهم وكلهم ندم لأنهم لم يتدخلوا مع ضعفهم الظاهر ويردوا للبلاد كرامتها ويغسلوها بالدماء.. ولكن إن غداً لقريب.. حاول البعض بعد الحادث أن يعملوا شيئًا بغرض الانتقام.. لكن كان الوقت قد فات أما القلوب فكلها نار وأسى.. عموماً فإن هذه الحركة أو هذه الطعنة ردت الروح إلى بعض الأجساد وعرفتهم أن هناك كرامة يجب أن يستعدوا للدفاع عنها.. وكان هذا درساً ولكنه كان درساً قاسياً.

رقى جمال عبد الناصر إلى رتبة اليوزباشى (نقيب) فى ٩ سبتمبر ١٩٤٢.. وفى ٧ فبراير ١٩٤٣ عين مدرساً بالكلية الحربية.. ومن قائمة مطالعاته فى هذه الفترة يتضح أنه قرأ لكبار المؤلفين العسكريين من أمثال ليدل هارت وكلاوزفيتز.. كما قرأ مؤلفات الساسة والكتاب السياسيين مثل كرومويل وتشرشل. وفى هذه الفترة كان جمال عبد الناصر يعد العدة للالتحاق بمدرسة أركان حرب.

زواج عبد الناصر

وفى ٢٩ يونيو ١٩٤٤ تزوج جمال عبد الناصر من تحية محمد كاظم ابنة تاجر من رعايا إيران كان قد تعرف على عائلتها عن طريق عمه خليل حسين.. وبعدها أنجب أبناءه هدى ومنى وخالد وعبد الحميد وعبد الحكيم. لعبت تحية دوراً مهمًا فى حياته خاصة فى مرحلة الإعداد للثورة واستكمال خلايا تنظيم الضباط الأحرار.. فقد تحملت أعباء أسرته الصغيرة - هدى ومنى - عندما كان فى حرب فلسطين.. كما ساعدته فى إخفاء السلاح حين كان يدرب الفدائيين المصريين للعمل ضد القاعدة البريطانية فى قناة السويس فى عامى ١٩٥١ ـ ١٩٥٢.

تنظيم الضباط الأحرار:

شهد عام ١٩٤٥ انتهاء الحرب العالمية الثانية وبداية حركة الضباط الأحرار.. ويقول جمال عبد الناصر فى حديثه إلى دافيد مورجان: وقد ركزت حتى ١٩٤٨ على تأليف نواة من الناس الذين بلغ استياؤهم من مجرى الأمور فى مصر مبلغ استيائى.. والذين توفرت لديهم الشجاعة الكافية والتصميم الكافى للإقدام على التغيير اللازم.. وكنا يومئذ جماعة صغيرة من الأصدقاء المخلصين نحاول أن نخرج مُثلنا العُليا العامة فى هدف مشترك وفى خطة مشتركة.

وعقب صدور قرار تقسيم فلسطين فى سبتمبر ١٩٤٧ عقد الضباط الأحرار اجتماعاً واعتبروا أن اللحظة جاءت للدفاع عن حقوق العرب ضد هذا الانتهاك للكرامة الإنسانية والعدالة الدولية.. واستقر رأيهم على مساعدة المقاومة فى فلسطين.

وفى اليوم التالى ذهب جمال عبد الناصر إلى مفتى فلسطين الذى كان لاجئاً يقيم فى مصر الجديدة فعرض عليه خدماته وخدمات جماعته الصغيرة كمدربين لفرقة المتطوعين وكمقاتلين معها. وقد أجابه المفتى بأنه لا يستطيع أن يقبل العرض دون موافقة الحكومة المصرية. وبعد بضعة أيام رفض العرض فتقدم بطلب إجازة حتى يتمكن من الانضمام إلى المتطوعين.. لكن قبل أن يبت فى طلبه أمرت الحكومة

المصرية الجيش رسمياً بالاشتراك فى الحرب. فسافر جمال إلى فلسطين فى ١٦ مايو ١٩٤٨.. بعد أن كان قد رقى إلى رتبة صاغ (رائد) فى أوائل عام ١٩٤٨.

لقد كانت لتجربة حرب فلسطين آثار بعيدة على جمال عبد الناصر فعلى حد قوله: لم يكن هناك تنسيق بين الجيوش العربية.. وكان عمل القيادة على أعلى مستوى فى حكم المعدوم.. وتبين أن أسلحتنا فى كثير من الحالات أسلحة فاسدة.. وفى أوج القتال صدرت الأوامر لسلاح المهندسين ببناء شاليه للاستجمام فى غزة للملك فاروق.

وقد بدا أن القيادة العليا كانت مهمتها شيئاً واحداً هو احتلال أوسع رقعة ممكنة من الأرض بغض النظر عن قيمتها الاستراتيجية.. وبغض النظر عما إذا كانت تضعف مركزنا العام فى القدرة على إلحاق الهزيمة بالعدو خلال المعركة أم لا.

وقد كنت شديد الاستياء من ضباط الفوتيلات أو محاربى المكاتب الذين لم تكن لديهم أية فكرة عن ميادين القتال أو عن آلام المقاتلين.

القطرة الأخيرة

وجاءت القطرة الأخيرة التى طفح بعدها الكيل حين صدرت الأوامر إلىّ بأن أقود قوة من كتيبة المشاة السادسة إلى عراق سويدان التى كان الإسرائيليون يهاجمونها.. وقبل أن أبدأ فى التحرك نشرت تحركاتنا كاملة فى صحف القاهرة. ثم كان حصار الفالوجا الذى عشت معاركه.. حيث ظلت القوات المصرية تقاوم رغم أن القوات الإسرائيلية كانت تفوقها كثيراً من ناحية العدد حتى انتهت الحرب بالهدنة التى فرضتها الأمم المتحدة فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩.

وقد جرح جمال عبد الناصر مرتين أثناء حرب فلسطين ونقل إلى المستشفى.. ونظراً للدور المتميز الذى قام به خلال المعركة فإنه منح نيشان النجمة العسكرية فى عام ١٩٤٩.

وبعد رجوعه إلى القاهرة أصبح جمال عبد الناصر واثقاً أن المعركة الحقيقية هى فى مصر.. فبينما كان ورفاقه يحاربون فى فلسطين كان السياسيون المصريون يكدسون الأموال من أرباح الأسلحة الفاسدة التى اشتروها رخيصة وباعوها للجيش.

وقد أصبح مقتنعاً أنه من الضرورى تركيز الجهود لضرب أسرة محمد على.. فكان الملك فاروق هو هدف تنظيم الضباط الأحرار الأول منذ نهاية ١٩٤٨ حتى ١٩٥٢.

وكان فى نية جمال عبد الناصر القيام بالثورة فى ١٩٥٥.. لكن الحوادث أملت عليه قرار القيام بالثورة قبل ذلك بكثير.

عودته من فلسطين

وبعد عودته من فلسطين عين جمال عبد الناصر مدرساً فى كلية أركان حرب التى كان قد نجح فى امتحانها بتفوق فى ١٢ مايو ١٩٤٨. وبدأ من جديد نشاط الضباط الأحرار وتألفت لجنته التنفيذية الأولى على مرحلتين بقيادة جمال عبد الناصر.. وضمت فى النهاية كلاً من كمال الدين حسين وعبد الحكيم عامر وحسين إبراهيم وصلاح سالم وعبد اللطيف البغدادى وخالد محيى الدين وأنور السادات وحسين الشافعى وزكريا محيى الدين وجمال سالم.. وهى اللجنة التى أصبحت مجلس الثورة فيما بعد عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥١.

وفى ٨ مايو ١٩٥١ رقى جمال عبد الناصر إلى رتبة البكباشى (مقدم) وفى نفس العام اشترك مع رفاقه من الضباط الأحرار سراً فى حرب الفدائيين ضد القوات البريطانية فى منطقة القناة التى استمرت حتى بداية ١٩٥٢.. وذلك بتدريب المتطوعين وتوريد السلاح الذى كان يتم فى إطار الدعوى للكفاح المسلح من جانب الشباب من جميع الاتجاهات السياسية والذى كان يتم خارج الإطار الحكومى.

وإزاء تطورات الحوادث العنيفة المتوالية فى بداية عام ١٩٥٢ اتجه تفكير الضباط الأحرار إلى الاغتيالات السياسية لأقطاب النظام القديم باعتباره من وجهة نظرهم الحل الوحيد.. وفعلاً بدأوا باللواء حسين سرى عامر أحد قواد الجيش الذين تورطوا فى خدمة مصالح القصر إلا أنه نجا من الموت.. وكانت محاولة الاغتيال تلك هى الأولى والأخيرة التى اشترك فيها جمال عبد الناصر.. فقد وافقه الجميع على العدول عن هذا الاتجاه.. وصرف الجهود إلى تغيير ثورى إيجابى.

التعبئة الثورية

ومع بداية مرحلة التعبئة الثورية.. صدرت منشورات الضباط الأحرار التى كانت تطبع وتوزع سراً.. والتى دعت إلى إعادة تنظيم الجيش وتسليحه وتدريبه بجدية بدلاً من اقتصاره على الحفلات والاستعراضات.. كما دعت الحكام إلى الكف عن تبذير ثروات البلاد ورفع مستوى معيشة الطبقات الفقيرة.. وانتقدت الاتجار فى الرتب والنياشين.. وفى تلك الفترة اتسعت فضيحة الأسلحة الفاسدة إلى جانب فضائح اقتصادية تورطت فيها حكومة الوفد.

حريق القاهرة

ثم حدث حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ بعد اندلاع المظاهرات فى القاهرة احتجاجاً على مذبحة رجال البوليس بالإسماعيلية التى ارتكبتها القوات العسكرية البريطانية فى اليوم السابق.. والتى قتل فيها ٤٦ شرطياً وجرح ٧٢ ولم تتخذ السلطات أى إجراء ولم تصدر الأوامر للجيش بالنزول إلى العاصمة إلا فى العصر بعد أن دمرت النار أربعمائة مبنى.. وتركت ١٢ ألف شخص بلا مأوى.. وقد بلغت الخسائر ٢٢ مليون جنيه.

أزمة انتخابات نادى ضباط الجيش

وفى ذلك الوقت كان يجرى صراع سافر بين الضباط الأحرار وبين الملك فاروق فيما عرف بأزمة انتخابات نادى ضباط الجيش.. حيث رشح الملك اللواء حسين سرى عامر المكروه من ضباط الجيش ليرأس اللجنة التنفيذية للنادى.. وقرر الضباط الأحرار أن يقدموا قائمة مرشحيهم وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب للرياسة.. وقد تم انتخابه بأغلبية كبرى.

دوافع تقديم موعد الثورة

برغم إلغاء نتائج الانتخاب بتعليمات من الملك شخصياً.. إلا أنه كان قد ثبت للضباط الأحرار أن الجيش معهم يؤيدهم ضد الملك.. فقرر جمال عبد الناصر رئيس الهيئة

التأسيسية للضباط الأحرار تقديم موعد الثورة التى كان محدداً لها قبل ذلك عام ١٩٥٥.. وتحرك الجيش ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتم احتلال مبنى قيادة الجيش بكوبرى القبة وإلقاء القبض على قادة الجيش الذين كانوا مجتمعين لبحث مواجهة حركة الضباط الأحرار بعد أن تسرب خبر عنها.

محمد نجيب ينضم للأحرار

وبعد نجاح حركة الجيش قدم محمد نجيب على أنه قائد الثورة وكان الضباط الأحرار قد فاتحوه قبلها بشهرين فى احتمال انضمامه إليهم إذا ما نجحت المحاولة - إلا أن السلطة الفعلية كانت فى يد مجلس قيادة الثورة الذى كان يرأسه جمال عبد الناصر حتى ٢٥ أغسطس ١٩٥٢ عندما صدر قرار من مجلس قيادة الثورة بضم محمد نجيب إلى عضوية المجلس وأسندت إليه رئاسته بعد أن تنازل له عنها جمال عبدالناصر.

بيـــان الثـــورة

وفى صباح يوم ٢٣ يوليه وبعد احتلال دار الإذاعة تمت إذاعة بيان الثورة التالى:

اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم.. وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش.. وتسبب المرتشون والمغرضون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين.. وأما فترة ما بعد الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد.. وتآمر الخونة على الجيش.. وتولى أمره إما جاهل أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها.. وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا.. وتولى أمرنا فى داخل الجيش رجال نثق فى قدرتهم وفى خُلقهم وفى وطنيتهم.. ولا بد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب.

أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر.. وسيُطلق سراحهم فى الوقت المناسب.. وإنى أؤكد للشعب المصرى أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور مجرداً من أية غاية.. وأنتهز هذه الفرصة

فأطلب من الشعب الا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف.. لأن هذا ليس فى صالح مصر.. وإن أى عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل وسيلقى فاعله جزاء الخائن فى الحال.. وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاوناً مع البوليس.. وإنى أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم.. ويعتبر الجيش نفسه مسئولاً عنهم.. والله ولى التوفيق.

وبعد نجاح الثورة بثلاثة أيام أى فى ٢٦ يوليو أجبر الملك فاروق على التنازل عن العرش لابنه أحمد فؤاد ومغادرة البلاد.. وفى اليوم التالى أعيد انتخاب جمال عبد الناصر رئيساً للهيئة التأسيسية للضباط الأحرار.

إلغاء الملكية

وفى ١٨ يونيو ١٩٥٣ صدر قرار من مجلس قيادة الثورة بإلغاء الملكية وإعلان الجمهورية.. وبإسناد رئاسة الجمهورية إلى محمد نجيب إلى جانب رئاسته للوزارة التى شغلها منذ ٧ سبتمبر ١٩٥٢.. أما جمال عبد الناصر فقد تولى أول منصب عام كنائب رئيس الوزراء ووزير للداخلية فى هذه الوزارة التى تشكلت بعد إعلان الجمهورية. وفى الشهر التالى ترك جمال عبد الناصر منصب وزير الداخلية الذى تولاه زكريا محيى الدين واحتفظ بمنصب نائب رئيس الوزراء.

تعيين جمال عبد الناصر رئيساً لمجلس قيادة الثورة

وفى فبراير ١٩٥٤ استقال محمد نجيب بعد أن اتسعت الخلافات بينه وبين أعضاء مجلس قيادة الثورة.. وعين جمال عبد الناصر رئيساً لمجلس قيادة الثورة ورئيساً لمجلس الوزراء.. وفيما يلى البيان الذى أذاعه المجلس بأسباب ذلك الخلاف فى ٢٥ فبراير ١٩٥٤:

أيها المواطنون..

لم يكن هدف الثورة التى حمل لواءها الجيش يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ أن يصل فرد أو أفراد إلى حكم أو سلطان أو أن يحصل كائن من كان على مغنم أو جاه.. بل يشهد

الله أن هذه الثورة ما قامت إلا لتمكين المُثل العليا فى البلاد بعد أن افتقدتها طويلاً نتيجة لعهود الفساد والانحلال.

لقد قامت فى وجه الثورة منذ اللحظة الأولى عقبات قاسية عولجت بحزم دون نظر إلى مصلحة خاصة لفرد أو جماعة.. وبهذا توطدت أركانها واطرد تقدمها فى سبيل بلوغ غاياتها.

ولا شك أنكم تقدرون خطورة ما أقيم فى وجه الثورة من صعاب.. خاصة والبلاد ترزح تحت احتلال المستعمر الغاصب لجزء من أراضيها.. وكانت مهمة مجلس قيادة الثورة فى خلال هذه الفترة غاية فى القسوة والخطورة.. حمل أفراد المجلس تلك التبعة الملقاة على عاتقهم ورائدهم الوصول بأمتنا العزيزة إلى بر الأمان مهما كلفهم هذا من جهد وبذل.

ومما زاد منذ اللحظة الأولى فى قسوة وخطورة هذه التبعة الملقاة على أعضاء مجلس قيادة الثورة أنهم كانوا قد قرروا وقت تدبيرهم وتحضيرهم للثورة فى الخفاء قبل قيامهم أن يقدموا للشعب قائداً للثورة من غير أعضاء مجلس قيادتهم وكلهم من الشبان.. واختاروا فعلاً فيما بينهم اللواء أركان حرب محمد نجيب ليقدم قائداً للثورة.. وكان بعيداً عن صفوفهم.. وهذا أمر طبيعى للتفاوت الكبير بين رتبته ورتبهم.. وسنه وسنهم.. وكان رائدهم فى هذا الاختيار سمعته الحسنة الطيبة وعدم تلوثه بفساد قادة ذلك العهد.

وقد أخطر سيادته بأمر ذلك الاختيار قبل قيام الثورة بشهرين اثنين ووافق على ذلك.

وما أن علم سيادته بقيام الثورة عن طريق مكالمة تليفونية بين وزير الحربية فى ذلك الوقت السيد مرتضى المراغى وبينه حتى قام إلى مبنى قيادة الثورة واجتمع برجالها فور تسلمهم لزمام الأمور.

ومنذ تلك اللحظة أصبح الموقف دقيقاً.. إذ إن أعمال ومناقشات مجلس قيادة الثورة استمرت أكثر من شهر بعيدة عن أن يشترك فيها اللواء محمد نجيب إذ إنه حتى ذلك

الوقت وعلى وجه التحديد يوم ٢٥ أغسطس سنة ١٩٥٢ لم يكن سيادته قد ضم إلى أعضاء مجلس الثورة.

وقد صدر قرار المجلس فى ذلك اليوم بضمه لعضويته كما صدر قرار بأن تسند إليه رئاسة المجلس بعد أن تنازل له عنها البكباشى أركان حرب جمال عبد الناصر الذى جدد انتخابه بواسطة المجلس قبل قيام الثورة كرئيس للمجلس لمدة عام ينتهى فى آخر أكتوبر سنة ١٩٥٢.

نتيجة لذلك الموقف ظل اللواء محمد نجيب يعانى أزمة نفسية عانينا منها الكثير رغم قيامنا جميعاً بإظهاره للعالم أجمع بمظهر الرئيس الفعلى والقائد الحقيقى للثورة ومجلسها مع المحافظة على جميع مظاهر تلك القيادة.

وبعد أقل من ستة شهور بدأ سيادته يطلب بين وقت وآخر من المجلس منحه سلطات تفوق سلطة العضو العادى بالمجلس.. ولم يقبل المجلس مطلقاً أن يحيد عن لائحته التى وضعت قبل الثورة بسنين طويلة إذ تقضى بمساواة جميع الأعضاء بمن فيهم الرئيس فى السلطة.. فقط إذا تساوت الأصوات عند أخذها بين فريقين فى المجلس فترجح الكفة التى يقف الرئيس بجانبها.

ورغم تعيين سيادته رئيساً للجمهورية مع احتفاظه برئاسة مجلس الوزراء ورئاسته للمؤتمر المشترك إلا أنه لم ينفك يصر ويطلب بين وقت وآخر أن تكون له اختصاصات تفوق اختصاصات المجلس.. وكان إصرارنا على الرفض الكلى لكى نكفل أقصى الضمانات لتوزيع سلطة السيادة فى الدولة على أعضاء المجلس مجتمعين.

وأخيراً تقدم سيادته بطلبات محددة وهى:

أن تكون له سلطة حق الاعتراض على أى قرار يجمع عليه أعضاء المجلس.. علماً بأن لائحة المجلس توجب إصدار أى قرار يوافق عليه أغلبية الأعضاء.

كما طلب أن يباشر سلطة تعيين الوزراء وعزلهم وكذا سلطة الموافقة على ترقية وعزل الضباط وحتى تنقلاتهم.. أى أنه طالب إجمالاً بسلطة فردية مطلقة.



ناصر.. ونجيب.. ولحظة صفاء لم تدم طويلاً

ولقد حاولنا بجميع الطرق الممكنة طوال الشهور العشرة الماضية أن نقنعه بالرجوع عن طلباته هذه التى تعود بالبلاد إلى حكم الفرد المطلق.. وهو ما لا يمكن أن نرضاه لثورتنا.. ولكننا عجزنا عن إقناعه عجزاً تاماً وتوالت اعتكافاته بين وقت وآخر حتى يجبرنا على الموافقة على طلباته هذه.. إلى أن وضعنا منذ أيام ثلاثة أمام أمر واقع مقدماً استقالته وهو يعلم أن أى شقاق يحدث فى المجلس فى مثل هذه الظروف لا تؤمن عواقبه.

أيها المواطنون

لقد احتمل أعضاء المجلس هذا الضغط المستمر فى وقت يجابهون فيه المشاكل القاسية التى تواجه البلاد والتى ورثتها عن العهود البائدة.

يحدث كل ذلك والبلاد تكافح كفاح المستميت ضد مغتصب فى مصر والسودان وضد عدو غادر يرابط على حدودها مع خوضها معركة اقتصادية مريرة وإصلاحاً لأداة الحكم وزيادة الإنتاج إلى آخر تلك المعارك التى خاضتها الثورة ووطدت أقدامها بقوة فى أكثر من ميدان من ميادينها.

واليوم قرر مجلس قيادة الثورة بالإجماع ما يلى:

أولاً: قبول الاستقالة المقدمة من اللواء أركان حرب محمد نجيب من جميع الوظائف التى يشغلها.

ثانياً: يستمر مجلس قيادة الثورة بقيادة البكباشى أركان حرب جمال عبد الناصر فى تولى جميع سلطاته الحالية إلى أن تحقق الثورة أهم أهدافها وهو إجلاء المستعمر عن أرض الوطن.

ثالثاً: تعيين البكباشى أركان حرب جمال عبد الناصر رئيساً لمجلس الوزراء.

ونعود فنكرر أن تلك الثورة ستستمر حريصة على مُثلها العليا مهما أحاطت بها من عقبات وصعاب.. والله كفيل برعايتها إنه نعم المولى ونعم النصير.. والله ولى التوفيق.

وسرعان ما تم تدارك مظاهر ذلك الخلاف فقبل مجلس قيادة الثورة عودة محمد نجيب إلى رئاسة الجمهورية فى بيان صدر لاحقًا فى ٢٧ فبراير ١٩٥٤.

قرار حل جماعة الإخوان

ثم بدأت بعد ذلك أحداث الشغب التى دبرتها جماعة الإخوان المسلمين التى أصدر مجلس قيادة الثورة قراراً بحلها فى ١٤ يناير ١٩٥٤.. وقد تورط أيضاً بعض عناصر النظام القديم فى هذه الأحداث.

وقد تجلى الصراع داخل مجلس قيادة الثورة فى هذه الفترة فى القرارات التى صدرت عنه وفيها تراجع عن المضى فى الثورة.. فأولاً ألغيت الفترة الانتقالية التى حددت بثلاث سنوات.. وتقرر فى ٥ مارس ١٩٥٤ اتخاذ الإجراءات فوراً لعقد جمعية تأسيسية تنتخب بالاقتراع العام المباشر على أن تجتمع فى يوليو ١٩٥٤ وتقوم بمناقشة مشروع الدستور الجديد وإقراره والقيام بمهمة البرلمان إلى الوقت الذى يتم فيه عقد البرلمان الجديد وفقاً لأحكام الدستور الذى ستقره الجمعية التأسيسية. وفى نفس الوقت تقرر إلغاء الأحكام العرفية والرقابة على الصحافة والنشر.

وثانياً: قرر مجلس قيادة الثورة تعيين محمد نجيب رئيساً للمجلس ورئيساً لمجلس الوزراء بعد أن تنحى جمال عبد الناصر عن رئاسة الوزارة وعاد نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة.

وبالرغم من إلغاء مجلس قيادة الثورة لتلك القرارات فى ٢٩ مارس ١٩٥٤ (قرار المجلس بإرجاء تنفيذ قرارات ٢٥ مارس ١٩٥٤) إلا أن الأزمة التى حدثت فى مجلس قيادة الثورة أحدثت انقساماً داخله بين محمد نجيب يؤيده خالد محيى الدين وبين جمال عبد الناصر وباقى الأعضاء.

موقف الجيش من الصراع:

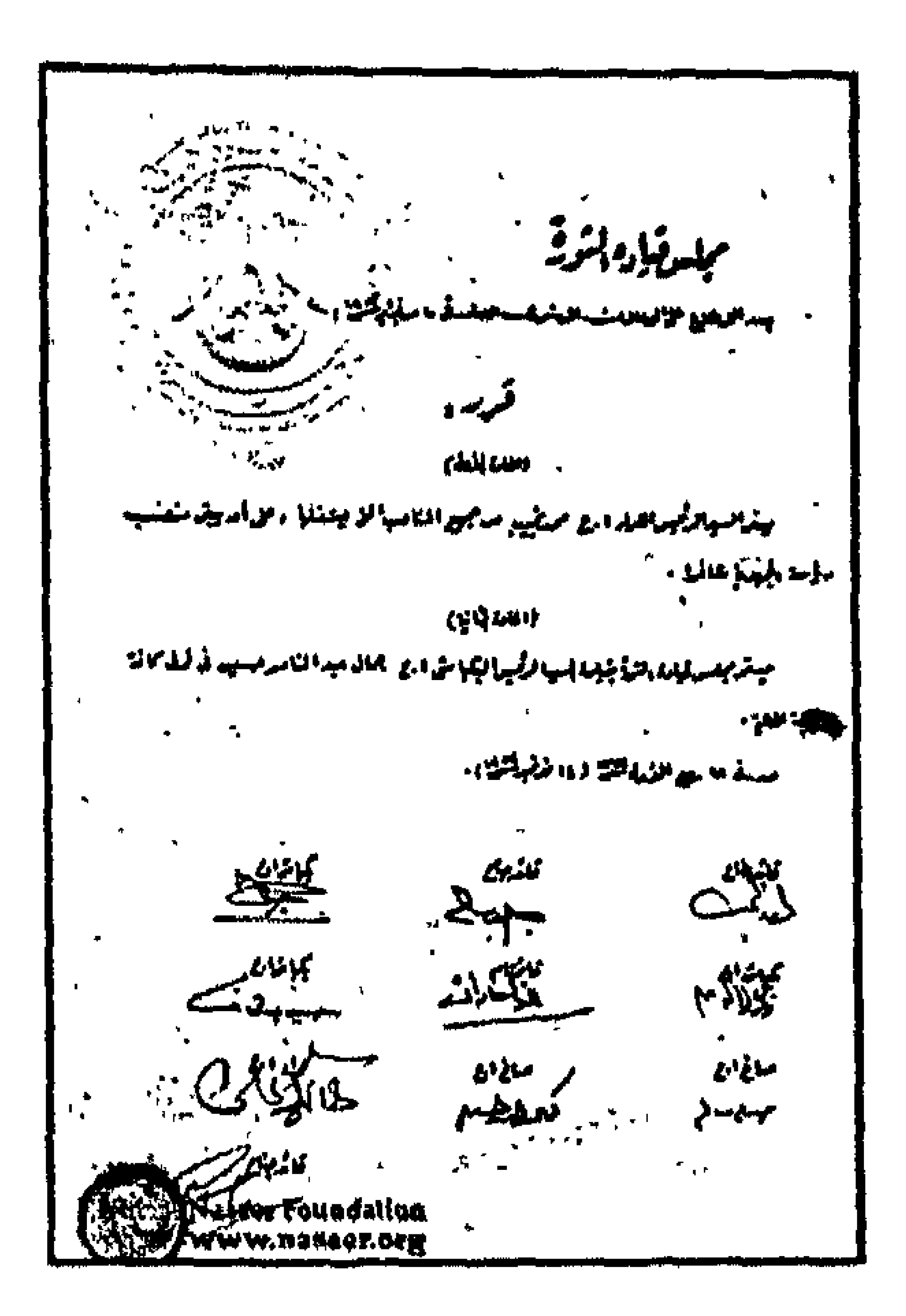
وقد انعكس هذا الصراع على الجيش.. كما حاول السياسيون استغلاله وخاصة الإخوان المسلمين وأنصار الأحزاب القديمة الذين كانوا فى صف نجيب وعلى اتصال به.. وفى ١٧ أبريل ١٩٥٤ تولى جمال عبد الناصر رئاسة مجلس الوزراء واقتصر محمد نجيب على رئاسة الجمهورية إلى أن جرت محاولة لاغتيال جمال عبد الناصر.

محاولة اغتيال جمال عبد الناصر:

جرت وقائع تلك المحاولة فى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ م. عندما كان يلقى عبد الناصر خطبة جماهيرية فى ميدان المنشية بمدينة الإسكندرية الساحلية فى احتفال أقيم تكريماً له ولزملائه بمناسبة اتفاقية الجلاء.. حيث أطلق عليه ثمانى رصاصات لم تصبه أى منها لكنها أصابت الوزير السودانى ميرغنى حمزة وسكرتير هيئة التحرير بالاسكندرية احمد بدر الذى كان يقف إلى جانب جمال عبد الناصر.. وألقى القبض على مطلق الرصاص.. ليتبين لاحقا أنه ينتمى إلى تنظيم الاخوان المسلمين.. وثبت من التحقيقات مع الإخوان المسلمين أن محمد نجيب كان على اتصال بهم وأنه كان معتزماً تأييدهم إذا ما نجحوا فى قلب نظام الحكم.



قبل لحظات من محاولة اغتياله بالمنشية



مجلس قيادة الثورة

قرار

صورة ضوئية من قرار مجلس قيادة الثورة بإعفاء محمد نجيب من مناصبه

إعفاء محمد نجيب من رئاسة الجمهورية

وهنا قرر مجلس قيادة الثورة فى ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ إعفاء محمد نجيب من جميع مناصبه على أن يبقى منصب رئيس الجمهورية شاغراً وأن يستمر مجلس قيادة الثورة فى تولى جميع سلطاته بقيادة جمال عبد الناصر.

ناصر رئيساً للجمهورية

فى ٢٤ يونيو ١٩٥٦ انتخب جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية بالاستفتاء الشعبى وفقاً لدستور ١٦ يناير ١٩٥٦ ـ أول دستور للثورة.

وفى ٢٢ فبراير ١٩٥٨ أصبح جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة بعد إعلان الوحدة بين مصر وسوريا.. وذلك حتى مؤامرة الانفصال التى قام بها أفراد من الجيش السورى فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١.

وظل جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة حتى رحل فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

جمال فى حياته العسكرية

بعد حصول جمال على شهادة الثانوية من مدرسة النهضة المصرية بالقاهرة (فى عام ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧).. كان جمال ميالاً إلى دراسة القانون فى مدرسة الحقوق.. ولكن رغباته ما لبثت أن تبدلت بعد أن قضى بضعة أشهر قضاها فى مدرسة الحقوق.. و قرر دخول المدرسة الحربية.. فى وقت لم يكن طلاب الكلية يتجاوزون ٩٠ طالبًا.. وبعد تخرجه فى الكلية الحربية (عام ١٣٥٧ هـ.. ١٩٣٨) التحق بالكتيبة الثالثة بنادق.

وعلى أثر الهزيمة التى لحقت بالجيش المصرى تأكد لعبد الناصر والضباط الشبان بمصر أن قـ يادة البلاد يجب أن يطاح بها.. وأن الهزيمة التى لحقت بهم جاءت من القاهرة.

وقد مارست الحكومة المصرية سائر أنواع التخويف للتـ يارات الثورية والوطنية المعارضة والعدوان على الحر يات والدستور المصرى ذاته وفرضت الأحكام العرفـ ية والرقابة على الصحف.. وفى مواجهة صلابة إسرائيل كانت الدول العربية فى مجملها عبارة عن جبهة مفككة ومعلوماتهم ضحلة عن العدو وهو ما أدركه عبد الناصر.

وفى هذه الفترة الحرجة نشأ تنظيم الضباط الأحرار حيث كان الجيش المصرى فى عام ١٩٤٩ م جريحًا نتـ يجة للهزيمة التى لحقت به.. وتم توزيع قواته على المناطق العسكرية المختلفة بعد الهزيمة وضعفت الصلات التنظيمية بين الجيش تبعًا لذلك.

غـ ير أن ضعف تيار العمل السياسى بالجيش فى شعبه السياسية الثلاث (العنف المسلح ـ الإخوان المسلمون ـ الشيوعيون) لم يدفع حركة الضباط إلى الظهور فى هذه الفترة وكان جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين قد تركا الإخوان مع عدد من الضباط.

ثم أنجز الرئيس الراحل عبد الناصر دورًا رئيسـ يًا فى جمع الضباط من مختلف توجهاتهم السياسية.. فى تكوين تنظيم من الضباط المهتمين بأمور السياسة.. وجمع اللجنة التأسيسية التى كان يتصل بها منذ أواخر عام ١٩٤٩م.

الثورة ضد الفساد

كانت الفترة ما بين ١٩٤٥ و١٩٤٧ هى البداية الحقيقية لتكوين نواة تنظيم الضباط الأحرار.. فقد كان معظم الضباط.. الذين أصبحوا- فيما بعد- اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار.. يعملون فى العديد من الوحدات القريبة من القاهرة.. وكانت تربطهم علاقات قوية بزملائهم.. فكسبوا من بينهم مؤيدين لهم.وكانت حرب ١٩٤٨ هى الشرارة التى فجّرت عزم هؤلاء الضباط على الثورة ضد الفساد.. بعد النكبة التى منى بها العالم العربى فى فلسطين. و فى تلك الأثناء كان كثير من هؤلاء الضباط منخرطين بالفعل فى حرب فلسطين

نشأة تنظيم الضباط الأحرار

وفى صيف ١٩٤٩ نضجت فكرة إنشاء تنظيم ثورى سرى فى الجيش.. وتشكلت لجنة تأسيسية ضمت فى بدايتها خمسة أعضاء فقط.. هم:

١- جمال عبد الناصر..

٢- كمال الدين حسين..

٣- حسن إبراهيم..

٤- خالد محيى الدين..

٥- عبد المنعم عبد الرءوف..

ثم زيدت بعد ذلك إلى عشرة.. بعد أن انضم إليها كل من:

١- أنور السادات..

٢- عبد الحكيم عامر..

٣- عبد اللطيف بغدادى..

٤- زكريا محيى الدين..

٥- جمال سالم.

وظل خارج اللجنة التنفيذية من باقى الأعضاء كل من:

١- ثروت عكاشة..

٢- على صبرى..

٣- يوسف منصور صديق..

ناصر.. وأزمة حصار الفالوجا

وكان عبد الناصر قد حوصر هو ومجموعة من رفاقه فى الفالوجا أكثر من أربعة أشهر.. وبلغ عدد الغارات الجوية عليها أثناء الحصار ٢٢٠ غارة.. عاد بعد أن رأى بعينه الموت يحصد أرواح جنوده وزملائه.. الذين رفضوا الاستسلام لليهود.. وقاوموا برغم الحصار العنيف والإمكانات المحدودة.. وقاتلوا بفدائية نادرة وبطولة فريدة.. حتى تم رفع الحصار فى مارس ١٩٤٩.

رجال الثورة

كانت اللجنة مكونة من خمسة ضباط فقط هم: جمال عبد الناصر.. حسن إبراهيم.. خالد محيى الدين.. كمال الدين حسين.. وعبد المنعم عبد الرءوف.. ولم يكن قد أطلق على هذه اللجنة اسم الضباط الأحرار كما أنه لم يكتمل الشكل التنظيمى لها إلا مع مطلع عام ١٩٥٠م عندما انضم آخرون إلى اللجنة التأسيسية.. وكانت صلة عبد الناصر قد بدأت بمحمد نجيب أثناء حرب فلسطين من خلال عبد الحكيم عامر.

ومع قيام ثورة يوليو اتخذ العمل النيابى مسارًا جديدًا يتلاءم مع أهداف الثورة.. وقد أدخلت الثورة تعديلاً حاسمًا على النظام السياسى المصرى عندما أصدرت فى ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ قرارا بإلغاء العمل بدستور ١٩٢٣.. وإلغاء نظام المجلسين.. فلم يعد هناك مجلس نواب ولا مجلس شيوخ.

ثم جاء الإعلان الدستورى عام ١٩٥٣م ليعبر عن طبيعة المرحلة الانتقالية الأولى من الثورة حيث تولى مجلس الوزراء السلطة التشريعية إلى جانب السلطة التنفيذية.

ومع صدور الدستور عام ١٩٥٦ تم إرساء الأسس التى قام عليها دور السلطة التشريعية فى النظام السياسى المصرى.. وقد استحدث هذا الدستور أمرين.. أولهما: قيام مجلس نيابى واحد بدلاً من المجلسين.. وثانيهما: النص على ترشيح الاتحاد القومى لأعضاء مجلس الأمة.

ناصر وأزمة مارس ١٩٥٤

كيف أدار جمال عبد الناصر أزمة مارس ١٩٥٤؟ هذا ما بحثه الدكتور جمال شقرة أستاذ التاريخ بجامعة عين شمس موضحًا أن الصدام الذى وقع خلال شهرى فبراير ومارس ١٩٥٤ بين اللواء محمد نجيب من ناحية.. وبين عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة من ناحية أخرى.. كان من أعنف الأزمات التى واجهت ثورة يوليو فى سنواتها الأولى.. حيث هددت مصر بحرب أهلية مروعة.

وقد تعددت الاجتهادات حول توصيف الأزمة فرأى البعض أنها كانت بين التيار الديمقراطى بقيادة اللواء نجيب والقوى التى التفت حوله.. والاتجاه الديكتاتورى بقيادة عبد الناصر ومن خلفه مجلس قيادة الثورة.

وأكد فريق آخر على أن الأزمة كانت مجرد صراع على السلطة بين القائد الحقيقى لثورة يوليو ومؤسس تنظيم الضباط الأحرار عبد الناصر.. وبين الزعيم الواجهة الذى اختاره الضباط ليتصدر ثورتهم بسبب افتقادهم لرتبة كبيرة تتصدر تحركهم.

فيما نفى فريق ثالث أن تكون مصر قد تعرضت لأزمة حقيقية بل إن الأمر كان مجرد مناورة من عبد الناصر ليتخلص من الرجل الكبير الذى سحره كرسى الحكم ونسى أو تناسى كيف وصل إليه ومن الذى أوصله؟

ويؤكد الدكتور شقرة أن أزمة مارس كانت أزمة حقيقية وقفت مصر إبانها على حافة الانفجار.. إلا أن عبد الناصر كان يعرف متى وكيف ينهى الأزمة لصالحه ولصالح الثورة ومجلسها.. حيث فوضه مجلس قيادة الثورة لاتخاذ التدابير والقرارات التى تنهى الخلاف مع اللواء نجيب.. فأدار الأزمة فى جولتها الثانية من خلال خطة

مكونة من ثلاث مراحل ولم يكد يمر شهر واحد على هزيمة المجلس فى الجولة الأولى من جولات الصراع فبراير ١٩٥٤ إلا وكان عبد الناصر قد أزاح نجيب والقوى التى ساندته.

قراءة جديدة فى الوثائق الأمريكية والبريطانية عن أزمة مارس ١٩٥٤ قدمها الدكتور محمد عبدالوهاب سيد.. موضحًا أن تولى نجيب رئاسة الجمهورية وتولى أعباء رئاسة مجلس الوزراء مع حرمانه من تولى القائد الأعلى للقوات المسلحة مما أفقده ميزة مهمة فى لعبة الصراع على السلطة بينه وبين عبد الناصر فمع تولى عبد الحكيم عامر منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة.. فإن عبد الناصر أصبح المسيطر على القوات المسلحة مما حرم نجيب من العديد من المزايا أهمها التواصل مع صغار الضباط وإقامة قاعدة للحكم.. فى حين كان تولى عبد الناصر منصب نائب رئيس الوزراء ووزارة الداخلية أحكم قبضته على الأوضاع الداخلية.

وقد تزامنت أزمة مارس مع المفاوضات المصرية البريطانية وكان الغرب يعقد آمالاً مطولة على من لديه القدرة على وضع حد للصراع بين مصر وبريطانيا.. ومن هنا يرى الباحث أن عيون المراقبين الغربيين وأصابعهم لم تكن بعيدة إلى حد ما عن الأزمة الداخلية.

ناصر والحركة الشيوعية

يرصد عبد القادر ياسين علاقة عبد الناصر بالحركة الشيوعية المصرية والتى مرت كما يقول بمراحل ثلاث أولها: من ١٩٥٢ ـ ١٩٥٥ واتسمت بعداء عبد الناصر الشديد للشيوعيين. فيما غطت المرحلة الثانية سنوات ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨ واتسمت بمهادنته للشيوعيين بعد أن توترت علاقة القاهرة بواشنطن.. فعقدت الأولى ما عرف باسم صفقة الأسلحة التشيكية وكان ذلك فى خريف ١٩٥٥.. ثم اعتراف مصر بالصين الشعبية فتأميم قناة السويس ثم العدوان الثلاثى. وفى هذه المرحلة كان الشيوعيون المصريون كثيرى الحديث عن الحلف الذى يجمعهم مع عبد الناصر.. بينما حقيقة الأمر أنه لم يتعد توهم الشيوعيين بذلك.

وحين قامت الوحدة المصرية - السورية ٢٢ فبراير ١٩٥٨ تم إبلاغ الإدارة الأمريكية بأن هذه الوحدة هى ضد الشيوعيين على وجه التحديد.

ثم جاءت ثورة العراق فى ١٤ يوليو ١٩٥٨ فأعطاها عبد الناصر صوته ثم بدأ تحيزه لنائب رئيس مجلس الثورة العراقى عبد السلام عارف على حساب رئيس المجلس عبدالكريم قاسم.

وتبنى عارف والبعث والقوميون العرب وجزء من حزب الاستقلال.. ضرورة الدخول فى وحدة فورية اندماجية مع الجمهورية العربية المتحدة.. لكن قاسم والأحزاب الشيوعية.. والوطنى الديمقراطى.. وجزء من حزب الاستقلال.. نادوا باتحاد فيدرالى يراعى خصوصية كل قطر.. وذلك بعد ما لمست هذه الأطراف ما جرى فى سوريا فى ظل الوحدة. هنا وقع الخلاف الدامى بين التيارين القومى واليسارى على مدى الوطن العربى.

ويضيف ياسين: هنا عانى الشيوعيون الأمرين فى مصر وسوريا وسقط منهم العديد من الشهداء تحت التعذيب..

وبعد ما يزيد على الخمس سنوات تم الإفراج عن الشيوعيين المصريين ومورست عليهم الضغوط لحل تنظيماتهم وهو الأمر الذى تم فعلاً فى ربيع ١٩٦٥.. حيث أهدت حدتو حل حزبها لعبد الناصر بمناسبة إعادة انتخابه رئيسًا للجمهورية.. فيما تلكأ الحزب الشيوعى المصرى بضعة أيام قبل أن يحل نفسه على مضض.. وذلك بعد أن كان عبد الناصر قد تبنى الاشتراكية العلمية.

ويعلق على ذلك الدكتور حسن نافعة أستاذ العلوم السياسية وأمين عام منتدى الفكر العربى: إننى كشاهد على هذه المرحلة أقول: إن الفترة الممتدة من ٦٧ حتى رحيل عبد الناصر كانت هى أكثر الفترات جدية لتصحيح ثورة كانت قد ترهلت وانحرفت عن مسارها الطبيعى.. فقد استطاع عبد الناصر خلالها.. رغم كثرة الضغوط والقيود الداخلية والخارجية.. أن يعيد بناء الجبهة الداخلية وأن يخوض حرب استنزاف كانت

هى الأساس الذى صنع نصر اكتوبر فيما بعد.. ولو أن الزخم الذى شهدته هذه الفترة.. والذى عايشته بكل جوارحى من خلال عملى فى القاهرة حتى سفرى إلى فرنسا قبل اسابيع قليلة من وفاة عبد الناصر.. كان قد استمر بنفس الحماس والإخلاص لتغير تاريخ مصر والمنطقة.. فقد عاشت البلاد حالة من الحيوية والتصميم وكانت جاهزة للبذل والتضحية.. ورغم ثقتها الكبيرة فى قيادتها فإنها لم تكن على استعداد لكتابة شيك على بياض لأحد مرة أخرى حتى ولو لعبد الناصر نفسه.. ومع ذلك فقد جرت عملية منظمة لاختطاف مصر فى لحظة حسية وذهنية بالغة التعقيد والخصوصية اعقبت حرب اكتوبر وأفضت إلى ما نحن فيه الآن!!

حزب يوليو

هل نجحت ثورة يوليو فى بناء حزبها؟ ما هو الحزب الحقيقى لثورة يوليو؟ هل كانت هناك فجوة بين حزب يوليو وجماهيرها. وهل استعاض عبد الناصر بالجماهير والحلفاء عن ذلك الحزب؟.. أسئلة عديدة تؤكد أن هناك عدة مفارقات بهذا الخصوص لعل أولها تنظيم الضباط الأحرار نفسه الذى ظل بتركيبته جبهة وطنية عريضة ضمت مختلف التيارات الوطنية والأفكار السياسية.

كما أن أحزاب يوليو ظلت فى أطوارها المختلفة أسيرة علاقة منقوصة بين قائد آمر ومقود مأمور.. وأصبح أسلوب ديمقراطية الموافقة هو السائد بدلاً من ديمقراطية المشاركة. هل كانت الوثائق المتتالية التى أصدرها عبد الناصر تصلح لأن تكون فى النهاية إطارًا تنظيريًا للعمل الوطنى والسياسى بديلاً عن مشاركة الجماهير الديمقراطية؟!

وفى النهاية أفرز كل ذلك تجربة الاتحاد الاشتراكى العربى التى تعتبر أكثر تجارب عبد الناصر بقاءً فى ذمة التاريخ لإنشاء حزب سياسى.. ثم جاءت تجربة التنظيم الطليعى. كما أن تجربة إنشاء منظمة الشباب الاشتراكى ومعهد الدراسات الاشتراكية علامتان مميزتان فى محاولات عبد الناصر لإنشاء حزب لثورة يوليو. تلك التجربتان قابلتا مضايقات عديدة من سلطة عبد الناصر نفسها.

ولعل فشل عبد الناصر فى إنشاء حزب له يضع بصماته على التحول فى تفكيره حول الحياة الحزبية بعد هزيمة ٦٧ فيما عرف بالنكسة.. وإذا كان عبد الناصر لم ينجح فى خلق حزب قوى إلا أنه أيضًا لم ينجح فى خلق حزب يوليو على المستوى القومى بينما نجح فى التواصل مع الجماهير العربية عبر أجهزة إعلامه.. إنها مفارقة الحضور الجماهيرى الطاغى والغياب الحزبى والتنظيمى.

■ ■ ■



الزعيم 2

السادات.. وعامر.. وعلاقات ناصر الخاصة جداً !!





ناصر.. والسادات.. واللقاء الأول:

عندما تم نقل ناصر إلى منقباد بأسيوط.. حيث التقى هناك للمرة الأولى بكل من أنور السادات وزكريا محيى الدين وفى سنة (١٣٥٨هـ.. ١٩٣٩) تم نقله إلى الإسكندرية.. وهناك تعرف على عبد الحكيم عامر.. الذى كان قد تخرج فى الدفعة التالية له من الكلية الحربية.. وفى عام ١٩٤٢ تم نقله إلى معسكر العلمين.. وما لبث أن نُقل إلى السودان ومعه عامر.. وعندما عاد من السودان تم تعيينه مدرسا بالكلية الحربية.. والتحق بكلية أركان الحرب.. فالتقى خلال دراسته بزملائه الذين أسس معهم تنظيم الضباط الأحرار.

بعد عودة السادات للخدمة بالجيش بعد ثبوت براءته من حادث اغتيال أمين عثمان بادر جمال عبد الناصر بتهنئة السادات بعودته للعمل بالجيش وبدأ يساعده فى اجتياز اختبارات تدريبية لكى يحصل على ترقية سريعة ويلحق بزملائه الذين سبقوه.. وبعد أن اطمأن جمال عبد الناصر إلى أن السلطات رفعت أيديها عن السادات قام بإعطائه خريطة توضح توزيع الضباط الأحرار فى مختلف وحدات الجيش.

السادات والثورة

ثم بدأ جمال عبد الناصر بشرح الخطة الموضوعة لثورة الضباط الأحرار ليستولوا على السلطة وكان محدد لها سنة ١٩٥٥ لكى يستعدوا لها جيدًا.. ولكن انفجار يناير سنة ١٩٥٢ والسلب والنهب الذى تم وحريق القاهرة بالشكل الذى أشرنا إليه دفع

الضباط الأحرار بالإسراع من تنفيذ خطتهم.. وتم الاتفاق على الفترة من ٢٢ يوليو إلى ٥ أغسطس لتتم الثورة فى أى من هذه الأيام.. وفى يوم٢٢ يوليو عاد السادات من وحدته وكان من المتوقع أن يكون جمال عبد الناصر فى انتظاره على محطة السكة الحديد ليخبره بأى تطورات جديدة فى خطة أو ميعاد الثورة.. ولكن ذلك لم يحدث فظن السادات أن ميعاد الثورة النهائى لم يتحدد بعد فذهب إلى منزله.. ثم توجه مع السيدة جيهان إلى السينما.. وحينما عاد إلى المنزل وجد رسالة مكتوبة من جمال عبد الناصر يطلب منه التوجه إلى منزل عبد الحكيم عامر لأنه قد حان وقت الثورة.. وفى الحال نفذ السادات التعليمات ولحق برفاقه وكان هو الذى أذاع نبأ الثورة فى مبنى الإذاعة.

وبصرف النظر عن الشكل الذى رويت به الواقعة السابقة، واختلاف رواياتها المتعددة إلا أنه فى النهاية نجحت الثورة إلا أن السادات وناصر أصيبا بالإحباط والحزن بسبب أن الجماعة الثورية لم يعدوا أنفسهم لتولى السلطة. فقد كانوا صغار السن وليست لديهم الخبرة الكافية لذلك باستثناء اللواء محمد نجيب الذى تم الإجماع عليه منذ البداية.. ثم قام جمال عبد الناصر بإجبار محمد نجيب على الاستقالة.. وحدثت بعض الخلافات بين أعضاء الثورة مما جعل جمال عبد الناصر يقوم بتعيين أنور السادات سكرتيرًا عامًا لمنظمة المؤتمر الإسلامى.. تلك المنظمة غير الفاعلة فى ذلك الوقت ولكنها أتاحت للسادات فرصًا للسفر للخارج علمته الكثير.. فعلى سبيل المثال كان السادات مندهشًا فى إحدى رحلاته إلى الهند من اثنين شيوعيين يعانقان نهرو.. إذ أعتقد أن ذلك يعد مثالاً للديمقراطية الحقيقية.. حيث يعامل الخصوم بعضهم بعضًا على أنهم إخوة مما جعله يقارن بين هذا التصرف والتغيرات الفظة فى مجلس قيادة الثورة

وتم حل مجلس قيادة الثورة فى يونيو سنة ١٩٥٦ وذلك لكثرة الصراعات الداخلية بين أعضائها على السلطة.. وتم انتخاب جمال عبد الناصر رئيسًا للجمهورية فى وقت كانت فيه الدولة تعج بالفساد والاعتقالات التعسفية.. مما دفع السادات إلى إلقاء اللوم

على ناصر تحديدا فى فشله فى تنظيم وزرائه.. بينما ظهر ناصر كشخصية غير مستقلة تحركه الشكوك والهواجس بدون سياسة متماسكة لحل المشاكل.. وهذا ما جعل بريطانيا والولايات المتحدة تسيئان فهم ناصر فتم سحب عرض تمويل بناء السد العالى.. مما أغضب ناصر وجعله يطلق خطابا ملتهبا فى الإسكندرية أعلن فيه عن تأميم شركة قناة السويس والسيطرة عليها.. وكان هذا الإعلان مفاجأة لأنور السادات شخصيًا.. لكنه لم يغضب وإن كان قد عاتب ناصر بلطف قائلا: لو كنت أخذت رأيى فى ذلك لقلت لك: كن حذرا فهذه الخطوة تعنى الحرب.. وأنت لست مستعدا لها كما أننا لم نتدرب على الأسلحة السوفيتية الموجودة لدينا.. بل تدريبنا كان مع بريطانيا.. لكنك الآن أخذت القرار بالفعل.. وبالطبع كلنا سوف نؤيدك.. وأنا أول من يفعل ذلك.

وبالفعل تم العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ وقد وهب الله مصر النصر فى مدن القناة بفضل استبسال المقاومة الشعبية فى محافظات القناة ومساعدة الاتحاد السوفيتى للجيش المصرى.. فى حين تم احتلال سيناء كما تم سحب القوات المسلحة المصرية من سيناء. بعد ذلك بدأت الشكوك تساور ناصر والسادات أيضا.. حيث بدأ رفاقه بتدبير مؤامرات ضده كما كان يشك فى أهداف الإسرائيليين والأمريكيين.. كما كان مشمئزا من إمدادات الأسلحة غير الكافية من جانب السوفيت ورغم كل ذلك وتأثيره السئ على نفسية جمال عبد الناصر.. إلا أنه قام بإطلاق نيران المدفعية على المواقع الإسرائيلية عبر قناة السويس بادئًا بما يطلق عليه حرب المناوشات.. مدفوعًا بذلك بتفكيره بأن مصر لديها مدفعية قوية وشعب كبير وبالتالى يمكن ضرب المواقع الإسرائيلية على طول الحدود.. وإجبار الإسرائيليين على الانسحاب من سيناء المحتلة.. ولكن صمدت إسرائيل رغم ذلك كما قامت بضرب المطارات الحربية وأهداف داخل مصر مثل المصانع والمدارس والمناطق المأهولة بالسكان وهذا ما أضطر مصر إلى وقف إطلاق النار عام ١٩٦٧ وإعلان النكسة.. ومع إعلان النكسة قام جمال عبد الناصر بإعلان تنحيه عن الحكم.. وخلال دقائق من هذا الإعلان ملأت الجماهير العريضة شوارع القاهرة مطالبة ببقائه قائدا لهم.

عامر.. وانقلاب لم يتم

بعد ذلك بدأ المشير عبد الحكيم عامر بتكديس الأسلحة والعديد من صغار الضباط حوله في بيته مطالبين ببقائه على رأس الجيش ومهددين بقلب نظام الحكم.. مما دعا عبد الناصر بطرد عامر من قيادة الجيش وتعيين محمد فوزى محله.. كما أمر بنزع سلاح رجال عامر واعتقال عامر.. وكل ذلك دفع عامر إلى الإقدام على الانتحار. بعد ذلك وفى عام ١٩٦٩ كان من الضرورى لناصر أن يختار نائبا لرئيس الجمهورية نتيجة لتعرضه لنوبات قلبية من جراء الضغط العصبى الواقع عليه.. علاوة على علمه بأن هناك مؤامرة لاغتياله تتم بين وزير داخلية المغرب وقت ذاك اللواء محمد أوفقير مشاركا مع المخابرات المركزية الأمريكية وذلك أثناء القمة العربية بالرباط.. وبناء عليه تم استدعاء السادات لأداء اليمين الدستورية وتعيينه نائبًا لرئيس الجمهورية.. ولكن تمت قمة الرباط بسلام.

بعد ذلك قام ناصر بشن حرب استنزاف ضد إسرائيل بمساندة روسيا عبر قناة السويس.. وردت إسرائيل بغارات جوية فى عمق الأراضى المصرية حيث قامت بضرب مصنع بأبى زعبل على أطراف القاهرة فى يناير ١٩٧٠.. وكان للظروف الصعبة التى تمر بها مصر والعالم العربى وخاصة فلسطين أكبر الأثر فى تدهور الحالة الصحية لجمال عبد الناصر.. حيث قام بعقد قمة عربية بالقاهرة بعد المذبحة التى تعرض إليها الفلسطينيين على يد الأردنيين حين حاول الفلسطينيون الاستيلاء على السلطة بعمان (الأردن) فقرر الملك حسين تصفية المقاومة فى الأردن فاشتبك معها فى صدام مسلح مما أدى إلى مذبحة.. ولذلك دعا عبد الناصر إلى عقد مؤتمر قمة للدول العربية.. وكانت المحادثات بالقمة متوترة.. وطالب فيها ناصر بضرورة وقف جرائم القتل التى انتشرت على نطاق واسع.. كما تم نقل منظمة التحرير الفلسطينية من الأردن إلى بيروت. وقد لاحظ السادات فى المؤتمر الإجهاد الشديد الذى كان ظاهرا على جمال عبد الناصر.. فطلب منه الذهاب للبيت لينال قسطًا من الراحة.. لكن ناصر أبى حتى ودع آخر ضيوف المؤتمر وكان أمير الكويت.. وبعد ذلك وفى نفس اليوم توفى جمال عبد الناصر بالسكتة القلبية.

لماذا اختار ناصر السادات نائباً له؟

اعتبر كثيرون أن اختيار عبد الناصر للسادات ليكون نائبا له فى ديسمبر ١٩٦٩.. قرارًا محيرًا ولغزًا يحتاج لتفسير أو لتبرير.. نظرًا للصورة التى كانت مرسومة للسادات فى أذهان العامة والخاصة.. بأنه رجل ضعيف وشخصية باهتة وأنه يفتقد لأى خبرة فى العمل التنفيذى.. وأنه عاش سنوات الثورة كلها فى الظل. ولذلك ظهرت تأويلات وتفسيرات لهذا القرار الذى أثر فيما بعد على مستقبل مصر السياسى. وأكثر ما نشر فى هذا المجال غلبت عليه أهواء شخصية حتى ظهرت تحليلاتهم يضرب بعضها بعضا وظهرت متهافتة وضعيفة أمام أى نقد موضوعى.

ونبدأ برأى الأستاذ محمد حسنين هيكل.. وهو الذى أرخ لفترة حكم عبد الناصر بما أتيح له ولم يتح لغيره من قربه من عبد الناصر ومن صناعة القرار. لكننا نجد حسنين هيكل مثيرًا فى محاولته لتفسير قرار عبد الناصر بتعيين السادات نائبا له.. يقع فى مأزق.. فمن جهة لا يريد أن يُخطئ عبد الناصر فى ذلك القرار المصيرى.. وفى نفس الوقت لا يريد أن يُظهر السادات مستحقا لاختيار الزعيم.

دعونا أولا نقرأ الشهادة المطولة لملابسات هذا القرار فى كتاب هيكل خريف الغضب.. يقول هيكل ما نصه:

فى هذه الأوقات الصعبة زاد السادات قربا من جمال عبد الناصر وكان بيت السادات فى الهرم هو المكان الوحيد الذى يستطيع جمال عبد الناصر أن يذهب إليه لكى يقضى فيه بين حين ـ وآخر ساعات مع صديق لم يكن يضغط على أعصابه بإثارة مناقشات سياسية أو عسكريه ملحة. كان طبيعياً على هذا الأساس أنه حين تعرض عبد الناصر للنوبة القلبية الأولى فى سبتمبر سنة ١٩٦٩ أن يضع السادات على رأس لجنة تضم بعض القريبين منه وتتولى تسيير شئون الدولة فى غيابه وعلى أى حال فإن هذه اللجنة لم يُقدر أن تباشر عملا حقيقيا فما لبث عبد الناصر أن نسى نوبته القلبية وعاد يمارس شواغله ومسئولياته وفى ديسمبر سنه ١٩٦٩ كان على عبد الناصر أن يشارك فى أعمال مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى ذلك الوقت فى الرباط بالمغرب.

وأتذكر أننى كنت معه فى هذه الرحلة وعندما دعانى إلى الجلوس بجانبه بعد إقلاع الطائرة كما كان يفعل دائما وأشار إلى بالجلوس وعلى وجهه ابتسامة وفوجئت به يقول: هل تعرف ماذا فعلت اليوم؟ ولم أكن اعرف وقال لى كان أنور السادات سيمر علىَّ لكى يصحبنى إلى المطار وطلبت منه أن يجىء معه بمصحفه ولم يفهم ماذا عنيت بهذا الطلب وعندما جاء فقد جعلته يقسم اليمين ليكون نائبا لرئيس الجمهورية فى غيابى وأبديت دهشتى وسألت عن السبب الذى دعاه إلى ذلك ومد جمال عبد الناصر يده إلى ملف كان قد وضعه أمامه على المائدة فى الطائرة وسحب منه عدة أوراق ناولها لى ثم قال اقرأ هذه البرقيات كانت الأوراق عددا من البرقيات الشفرية أرسلتها مجموعة المقدمة التى سبقت الرئيس إلى الرباط لإعداد الترتيبات الإدارية اللازمة لإقامته ولعمله أثناء انعقاد مؤتمر القمة وكانت بينها برقية بتوقيع سكرتير عام رئاسة الجمهورية ورئيس مجموعة المقدمة تقول: إن هناك معلومات متداولة فى بعض الأوساط السياسية فى المغرب بأن الجنرال محمد أوفقير وزير الداخلية المغربى يتعاون مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى محاولة لاغتيال جمال عبد الناصر أثناء وجوده فى المغرب وفرغت من قراءة البرقية بكل تفاصيلها والتفت إلى الرئيس مستوضحا وقال هو: إننى كثيرا ما أتلقى مثل هذه المعلومات ودائما يثبت أنها شائعات بلا أساس لكن ظروفنا الآن لا تحتمل أى فراغ ولقد فكرت فى أنه إذا فرض وصدقت المعلومات هذه المرة وحدث شىء فإن أنور السادات يصلح لسد الفترة الانتقالية. إن الاتحاد الاشتراكى والقوات المسلحة سوف يواصلان تحمل المسئوليات الفعلية وفى فترة الانتقال فإن دور أنور السادات سيكون شكليا.

ثم أضاف عبد الناصر إن الآخرين جميعا واتتهم الفرصة ليكونوا نوابا لرئيس الجمهورية إلا أنور ولعله دوره الآن ثم أضاف مرة أخرى قوله وعلى أى حال فهى فترة أسبوع على أرجح الأحوال فقد علمته التجارب من قبل أن كل هذه التقارير عن مؤامرات الاغتيال مبالغ فيها وقد رأيت منها الكثير.

تسعة شهور حزينة:

كانت الشهور التسعة من مؤتمر القمة فى الرباط ديسمبر ١٩٦٩ إلى رحيل جمال عبد الناصر ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ فترة حافلة بالأحداث. عاد عبد الناصر إلى الرباط ليسمع بتفاصيل الغارة الإسرائيلية على السخنة وهى الغارة التى تمكنوا خلالها من الحصول على أحد أجهزة الرادار وقرر أن يقوم بزيارته السرية المشهورة إلى الاتحاد السوفيتى لكى يجد حلاً نهائيًا لمشكلة الدفاع الجوى خصوصًا فى العمق وقام بهذه الزيارة السرية فعلا فى يناير ١٩٧٠ وتوصل بعد مفاوضات شاقة إلى اتفاق بالغ الأهمية فقد وافق السوفيت على تزويد مصر بصواريخ سام ٦ القادرة على رد غارات الطيران المنخفض وفى الفترة التى كانت لازمة لإتمام تدريب القوات المصرية على الصواريخ الجديدة فقد اتفق على أن تركز مصر كل ما لديها من الصواريخ المضادة للطائرات لحماية القوات المسلحة فى جبهة قناة السويس على أن يشارك الاتحاد السوفيتى فى الدفاع عن العمق حتى تعود من الاتحاد السوفيتى أطقم بطاريات الدفاع الجديدة بعد انتهاء تدريبهم وكانت تلك خطوة هائلة فى تأثيرها على الموازين الاستراتيجية فى منطقة الشرق الأوسط فإن التواجد الفعلى للاتحاد السوفيتى فى مصر بالمشاركة فى الدفاع عن العمق رفع مستوى الصراع من مواجهة بين مصر وإسرائيل إلى احتمال مواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى.

وكانت تلك مخاطرة محسوبة أرادها عبد الناصر لتغطية الفترة اللازمة لاستكمال متطلبات الدفاع الجوى المصرى من ناحية ولبدء مبادرة سياسية استراتيجية يستفيد فيها من التوتر المحتمل الناشئ من رفع الصراع من المستوى الإقليمى بين مصر وإسرائيل إلى المستوى العالمى احتمالا بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وفى ظل هذا التوازن الخطر الجديد بدأ عبد الناصر مناورته السياسية فوجه فى أول مايو سنة ١٩٧٠ رسالة إلى ريتشارد نيكسون رئيس الولايات المتحدة بأن يطلب إلى إسرائيل الانسحاب من الأراضى المحتلة أو إذا لم يكن ذلك فى استطاعته فعلى الأقل يوقف إمداد إسرائيل بالسلاح الجديد وإلا اعتبر طرفاً بالوساطة فى عملية استمرار

احتلال الأراضى العربية وجاء رد نيكسون بما اشتهر بعد ذلك باسم مبادرة روجرز التى نص فيها لأول مرة على الانسحاب من الأراضى العربية بعد اتصالات يجريها مبعوث الأمم المتحدة السفير جونار يارنج المكلف بالإشراف على تطبيق قرار مجلس الأمن رقم «٢٤٢».

حين وصل نص مبادرة روجرز بالطرق الدبلوماسية إلى القاهرة لم يكن جمال عبد الناصر موجوداً فيها وإنما كان موجوداً فى طرابلس يحضر احتفالاً بجلاء الأمريكيين عن قاعدة لهم بليبيا وحولت إليه هناك مبادرة روجرز وكان اتجاهه وهو هناك إلى قبولها فقد كانت فى إطار المناورة السياسية الكبرى التى قام بها وكانت أقرب شىء إلى توقعاته.. لكن أنور السادات فى القاهرة لم يكن على علم بخطط جمال عبد الناصر وكان مازال يشغل منصب نائب رئيس الجمهورية وفى الواقع فإن زحام الأحداث كان قد حول الأنظار كثيراً عن وجوده فى هذا المنصب لكنه بحكم وجوده فى هذا المنصب تلقى بالطريق الرسمى معلومات عن مبادرة روجرز وتصور أنور السادات فى حدود ما يعرفه أن جمال عبد الناصر سوف يرفض أى مبادرة تجىء من الولايات المتحدة وهكذا فإنه مبالغة فى إظهار نشاطه عقد اجتماعا للجنة السياسية للاتحاد الاشتراكى العربى عرض فيه الخطوط العريضة للمبادرة الأمريكية وبالنيابة عن جمال عبد الناصر كما يتصور فإنه حبذ رفضها وعندما سمع جمال عبد الناصر فيما بعد بما حدث سأل أنور السادات عما جرى وكان أنور السادات فى منتهى الحرج فقد تصور أنه سبق جمال عبد الناصر إلى ما كان يريد لكنه اكتشف متأخراً أنه أخطأ التقدير ولم يكن هناك وقت للدخول فى تفاصيل فقد كان جمال عبد الناصر على موعد مع قادة الاتحاد السوفيتى فى موسكو بعد عودته من طرابلس إلى القاهرة التى لم يمض فيها غير يوم واحد.

وعاد جمال عبد الناصر بعد عشرين يوماً قضاها فى الاتحاد السوفيتى فى المفاوضات وفى إجراء فحوص طبية وعلاج فى مستشفى برفيخا قرب موسكو ليجد أنور السادات متورطاً فى مشكلة جديدة كان يمكن أن تكلفه منصبه كنائب رئيس الجمهورية وتغير بالتالى مجرى تاريخ مصر الحديث.

كان أنور السادات وزوجته جيهان دائمى الشكوى من أن بيتهما فى الهرم لم يعد لائقاً خصوصاً وأنور يتولى منصب نائب رئيس الجمهورية وزاد من ضيقهما بالمنزل أن جمال عبد الناصر نفسه كان يزور أنور السادات فيه بين وقت وآخر وهكذا حدث بينما كان جمال عبد الناصر فى موسكو وأنور السادات يقوم بمهام نائب الرئيس فى مصر أن ذهبت السيدة جيهان تبحث بنفسها عن بيت آخر جدير بأن يسكنه نائب الرئيس واكتشفت أن بالقرب من بيتهم فى شارع الهرم قصراً يملكه ضابط سابق اشتغل بالأعمال الحرة هو اللواء الموجى وطلبت جيهان السادات أن تستأجر البيت ولكن صاحبه رفض وإذا بقرار من نائب الرئيس بوضع صاحب البيت تحت الحراسة.

وعندما عاد جمال عبد الناصر من رحلته إلى موسكو تلقى تقريراً عما حدث وضايقه كثيراً ما عرفه وانصب جزء من ضيقه على أنور السادات الذى سارع بالانسحاب إلى قريته ميت أبو الكوم وشاع أن غضب عبد الناصر منه أصابه - أى السادات - باضطراب فى القلب كان قد تعرض له من قبل وكان الحظ حليفاً لـ «أنور السادات» هذه المرة كما كان حليفه فى مرات أخرى سابقة ولاحقة والحقيقة أنه كوفئ بدلاً من أن يعاقب فقد وجد جمال عبد الناصر بعد أن هدأ ضيقه أن يخصص بيتاً ليكون مقراً لنائب رئيس الجمهورية وأن يسكن فى هذا المنزل كل من يشغل منصب نائب الرئيس أثناء توليه هذا المنصب. كان البيت الذى وقع عليه الاختيار بيتاً من بيوت الضيافة الرسمية وفى الحقيقة فإنه كان قصراً يطل على النيل وكان فى السابق ملكاً لمليونير يهودى اسمه ليون كاسترو فرضت عليه الحراسة مع غيره سنة ١٩٦١ ثم أصبح بيته السابق واحداً من بيوت الضيافة الرسمية وانتقل أنور السادات إلى هذا البيت فعلا وبدأ فى إجراء إصلاحات متواضعة فيه وفى هذا الوقت رحل عبد الناصر وارتفعت فاتورة الإصلاحات المتواضعة إلى مبلغ ٦٥٠ ألف جنيه وعلى طريقة جاكلين كيندى التى أعادت فرش البيت الأبيض فإن زوجة الرئيس الجديد اختارت بعضاً من التحف التى كانت موجودة فى القصور الملكية السابقة لكى تجمل بها بيتها الجديد على أساس أن البيت ملك للدولة وانه باعتباره مقراً لرئيس الجمهورية

الجديد سوف يكون مزارًا لكل كبار الضيوف الذين يزورون الجمهورية ورئيسها الجديد:

وقبل رحيل عبدالناصر تكالبت عليه لحظات انكسار متتالية من مؤتمر الرباط إلى زيارة موسكو السرية إلى استمرار حرب الاستنزاف إلى مبادرة روجرز إلى المواجهة بين الملك حسين والثورة الفلسطينية فى الأردن وبالتالى وضع أنور السادات كنائب للرئيس كان قضية منسية حتى وإن كان قد خطر للبعض بمن فيهم عبد الناصر نفسه أن الأمر قابل لإعادة النظر فيه وهكذا بقى أنور السادات فى مكانه حتى تلك اللحظة الحزينة.

ماذا يقصد هيكل؟

ونتوقف قليلاً عند أقوال هيكل السابقة لنتدبر الأمر فمنصب نائب رئيس الجمهورية ليس بالمنصب الصغير الذى يمكن أن يصبح قضية منسية عند عبد الناصر بسبب مشاغله الكثيرة. أيًا كانت هذا ولا شك تفسير غريب ولا يليق بهيكل.. ولا بعبد الناصر. خاصة أن ظهور وتواجد السادات بعد تعيينه نائبًا فى كل المناسبات الرسمية والاجتماعات المهمة كان كفيلا بتذكير عبد الناصر كل يوم بهذه القضية المنسية.

إن موقف السادات من مبادرة روجرز ومسارعته لعقد اجتماع للجنة السياسية للاتحاد الاشتراكى العربى وعرضه فيه الخطوط العريضة للمبادرة الأمريكية.. ثم إعلانه رفض المبادرة برغم أن غياب عبد الناصر عن مصر كان ليوم واحد فى ليبيا.. إن هذا يعنى بطريقة مباشرة أن السادات كان يملأ بالفعل منصبه كنائب للرئيس.. لدرجة إقدامه على خطوة سياسية بارزة ودون الرجوع لعبد الناصر. وإن تفسيرها على غير هذا النحو فيه كثير من لى عنق الأحداث بما لا تحتمله.

إن تعيين السادات رئيسًا للجنة التى تسير أمور الدولة وكما سيأتى لاحقا فى شهادة سامى شرف كان سابقا لاختياره نائبا للرئيس. وهذه اللجنة باشرت عملها بالفعل من رئاسة الجمهورية. وعلى أى حال فاختيار السادات لهذا الموقع الخطير.. ينفى ما ذكره هيكل بأن اختياره نائبا كان أمرا شكليا لا أكثر.

كما أن القصة التى رواها هيكل عن استيلاء السادات على قصر اللواء الموجى وتوبيخ عبد الناصر له وضيقه الشديد بما فعل.. ثم مكافأة عبد الناصر له بتخصيص قصر رئاسى له.. أمر يصعب تفهمه.. إلا لو اعتبرنا أن عبد الناصر كان يرى فى السادات كفاءة ليكون نائبا له.. ومن ثم تغتفر له هذه الأخطاء الخطيرة.. هذا هو التفسير المنطقى لهذه الواقعة. ويصعب تفسيرها كما ذهب هيكل على أنها علامة على حظ السادات الذى لعب له وكان حليفا له !!

أما قول هيكل إن بيت السادات فى الهرم كان هو المكان الوحيد الذى يستطيع جمال عبد الناصر أن يذهب إليه لكى يقضى فيه بين حين وآخر ساعات مع صديق لم يكن يضغط على أعصابه بإثارة مناقشات سياسية أو عسكريه ملحة..... فدليل آخر على العلاقة الخاصة التى كانت بين عبد الناصر والسادات.. وهذه الزيارات الخاصة المتكررة دليل على ثقة عبد الناصر فى نائبه.. والثقة كانت تمثل لعبد الناصر عاملا كبيرا فى اختيار معاونيه. وأما تفسير هيكل فعجيب.. إذ إنه كان أمام عبد الناصر ألف مكان آخر يمكنه الذهاب إليها ليريح دماغه وأعصابه غير بيت السادات.

ولابد أن نذكر هنا أن كتاب خريف الغضب لهيكل ملئ بالبغض الشخصى للسادات وفيه من التحامل على الرجل ما يخرج به عن النزاهة الموضوعية.. وهذا قد يكون له أسوأ الأثر على نفوس القراء خاصة من الشباب. فالشباب عندما تتكون لديهم صورة عن رئيسهم السابق من خلال كتاب هيكل الذى جمع كل صفات الشر والمكر والخديعة والانتهازية وربما الخيانة والعمالة.. فإن الشباب ييأس من بلده وييأس من كل محاولة للإصلاح فيه.

وإلى جانب رؤية هيكل.. فهناك آراء أخرى جانبها الصواب فى محاولتها لتفسير قرار تعيين السادات نائبا لرئيس الجمهورية. وتدور تلك الآراء على افتراضين:

الأول: إن عبد الناصر قام بتعيين السادات تلبية لضغوط أمريكية.. لأن السادات كان رجل أمريكا فى مصر.

والثانى: إن القرار تم بضغوط سعودية نظرا لعلاقات السادات المريبة بالمخابرات السعودية.

وكلا الافتراضين من السذاجة بمكان. وأدنى معرفة بشخصية عبد الناصر ترد هذين الاحتمالين وتجعلهما محض خيالات. لقد كان عبد الناصر عنيدا أمام أى ضغوط خارجية ولو كانت طفيفة.. فكيف نتصور ضغطا أمريكيا أو سعوديا لإجباره على تعيين السادات نائبا لرئيس الجمهورية.

وهناك أيضًا فيما يتعلق بتعيين السادات نائبًا بعض التفسيرات التى تميل للاستخفاف والتشهير.. وللأسف الشديد فإن المنابر الإعلامية تفتح لها. على سبيل المثال.. أحمد حمروش أحد الضباط الأحرار.. والذى كان له دور هامشى فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢.. وبعدها اعتزل العمل السياسى وتوجه إلى بعض الأنشطة الإعلامية المحدودة.. يقول:... فى الواقع السادات كان أبعد ما يكون عن الأحداث وكان يتعامل مع تنظيم الضباط الأحرار على انه حركة فاشلة وكان حذرا فى علاقته بالضباط الأحرار ولا يجتمع معهم باستمرار حتى ليلة الثورة لم يأت لعبد الناصر كما طلب منه ولم يشارك فى العملية وافتعل مشكلة فى السينما لإثبات حالة لأنه لم يكن يثق بنجاح الثورة.

ومنذ بداياته وهو إنسان غريب متذبذب التوجهات فعمل فترة مع المخابرات الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية فى شبكة حكمت فهمى الشهيرة ثم توجه بعد ذلك للاغتيالات وشارك فى اغتيال أمين عثمان ثم بعد ذلك كان من أهم وابرز أعضاء الحرس الحديدى التابع للملك.. إذن فكل هذه التحولات والتغيرات فى شخصيته تجعله شخصا غير مؤتمن ولا يمكن الوثوق به.

واختيار الرئيس عبد الناصر للسادات نائبًا له قبل سفره للرباط بالمغرب كان أيضا بمحض الصدفة وشيئًا رتبته الأقدار حيث جاءت معلومات استخباراتية بأن هناك مؤامرة ضد عبد الناصر وقد يتعرض للقتل ولأن عبد الناصر دائما يبحث عن أهل الثقة بسبب هاجس الخوف من انقلاب الثورة فلم يجد بجواره من الضباط الأحرار سوى حسين الشافعى وأنور السادات يأتمنهما على البلاد فعين الاثنين نائبين له

وجعل السادات يقسم على المصحف أمامه على الولاء لمصر وللثورة وهذا أمر يؤكد عدم ثقة عبد الناصر الكاملة فى السادات. وسأكشف عن سر يذاع لأول مرة على لسانى وهو أن عبد الناصر كان ينوى بالفعل عزل السادات وأسر بهذه الرغبة لمسئولين عربيين كبيرين احدهما المجدوب السودانى والآخر سورى لن اكشف عن اسمه إلا أن مهام الدولة وانشغاله بأوضاع داخلية جعلته يؤجل القرار حتى وافته المنية ـ الكلام مازال على لسان حمروش.

وكلام أحمد حمروش كما نرى كلام مرسل يفتقد إلى الموضوعية.. ومسألة نية عبد الناصر عزل السادات لولا كثرة مشاغله !.. لا دليل عليها.. وغير موثقة.

مثال آخر لهذا الاستخفاف.. ما كتبه المؤرخ المصرى المعاصر د. يونان لبيب رزق.. والذى برغم تنديده واستيائه فى عدة مناسبات مما أطلق عليه فن التشهير بالزعماء!.. ومع ذلك نجده هو الآخر يندد بقرار تعيين السادات نائبا لعبد الناصر فى هذا السياق المتحامل:

... بعد رحيل الرئيس عبدالناصر واعتلاء الرئيس السادات كرسى الرئاسة.. إذ لم يمض وقت طويل حتى بدأت حملة تشويه الرئيس الراحل تحت عين الرئيس الجديد وبرضائه.. ثم أخيرا بتحريضه!!

ولا نريد هنا أن نستعين بالتاريخ وحده لتفسير هذا التحول على اعتبار أنها ظاهرة تاريخية مصرية أو عربية.. فلكل حالة خصوصيتها..

يمكن أن نعزو جانبا مما جرى من المفاجأة التى أخذت بتلابيب الرئيس الجديد.. فما لم يكن يتوقعه شخصيا وأغلب المصريين أن يجلس محمد أنور السادات بالذات على كرسى الرئاسة.. بحكم ما عرف من افتقار الرجل لروح القيادة.. حتى بدا وكأنه مجرد أداة لعبدالناصر.. الأمر الذى نتبينه من طبيعة الأعمال التى كان يسندها إليه.. رئيسا لتحرير الجريدة الناطقة بلسان الثورة.. الجمهورية.. والتى تروج لها.. رئيسا لمجلس الأمة ليكون أداة الرئيس فى التحكم فيه.. وهو الموقف الذى عبر عنه فى كتاباته عندما وضع مؤلفا فى مديح عبدالناصر تحت عنوان يا بنى.. هذا عمك جمال!

وفى حديث قد يم مع الأستاذ سامى شرف حين كان يقوم باعداد مذكراته الشخصية.. والذى مازال يحمل مرارة شديدة من الرئيس السادات.. وهى مرارة انسانية نعزوها إلى ما كابده الرجل من متاعب فى عهد الأخير.. بعد أن كان موضع سر الزعيم الأول.. فبعد أن هاجم سياسات هذا الرئيس بل شخصه.. أخذ يتحدث عن المسئولية التى تقع على عبدالناصر فى اختيار السادات نائبا له مما مهد له السبيل إلى خلافته!.. من كان يتوقع وفاة عبدالناصر وهو لم يستكمل الثالثة والخمسين؟!.

المهم حدثت المفاجأة وتولى الرجل المنصب المرموق.. وعبر فى البداية عن امتنانه الشديد مما حدث عندما ذهب إلى مجلس الأمة لحلف قسم تولى الرئاسة فلم يملك بعد القسم سوى أن يذهب إلى تمثال الرئيس الراحل لينحنى له!!.. غير أن مثل هذا الامتنان لم يعش طويلا وانصرف إلى تغيير كل ما أنجزه سابقه.. حتى المجلس الذى حلف فيه اليمين فلم يكتف برفع التمثال وإنما غير اسمه فأصبح مجلس الشعب!!

وتتدافع التفسيرات حول اندفاع الرجل فى هذا الطريق.. طريق السير عكس اتجاه سلفه.. وأهمها فى تقديرنا شعور الرجل بقصر قامته السياسية التى اعتاد الناس عليها بالقياس لقامة عبدالناصر التى كان قد صنعها من خلال سياساته الوطنية العربية ورؤيته الاجتماعية والاقتصادية التى ناسبت روح الفترة التى حكم خلالها.. وقد رأى أن جانبا من محاولة مطاولة قامة سلفه يقوم على السعى إلى التقليل من أهمية سياساته.. خاصة وأن الظروف كانت مناسبة نتيجة لرحيل عبدالناصر ولم يكن قد انتهى بعد من المهمة التى أخذها على عاتقه بعد حرب ١٩٦٧ من إزالة ما ترتب عليها من نتائج!!

إن هذه التحليلات التى استخفت بقرار تعيين السادات وحاولت أن تصرفه عن سياقه الطبيعى.. لم ينتبه أصحابها للظرف التاريخى الذى كان فيه ذلك القرار عام ١٩٦٩. لقد كان اهتمام عبد الناصر بإعادة بناء القوات المسلحة بعد كارثة ١٩٦٧.. اهتماما بالغا استحوذ على كل طاقته وجهده. وكان يقدر أن الجبهة الداخلية لها دور خطير فى صمود القوات المسلحة واستعادة توازنها للحرب المقبلة مع إسرائيل. وفى هذا

السياق لابد أن تكون عناية عبد الناصر شديدة لاختياره نائبا للرئيس فى هذا الظرف الحساس

السادات مع عبد الناصر فى جهود لم الشمل العربى

إن ما نطمئن إليه هو أن عبد الناصر اختار السادات نائبا له فى ديسمبر ١٩٦٩ لأنه وجده ببساطة أكفأ رجاله وأقدرهم على تحمل هذه المسئولية.. ونقدم على ذلك الشواهد والأدلة التالية:

أولا: إن قرار عبد الناصر جاء بعد تلقيه معلومات استخباراتية باحتمال اغتياله فى رحلته للمغرب.. ورجل فى شخصية عبد الناصر لا شك أنه كان يريد بهذا القرار حقيقة أن يختار خليفة له.. إذ لا نتصور أن عبد الناصر يعمل حسابا لمحاولة اغتياله فيختار رجلا ليخلفه.. بصورة شكلية. إن طبيعة الموقف كانت تستدعى من عبد الناصر أن يدقق فى هذا الاختيار.. وهذا ما حدث.

ثانيا: إن انفراد عبد الناصر بهذا القرار وإخفائه حتى عن المقربين إليه يؤكد قناعته بهذا الاختيار الذى لا يحتاج فى تصوره إلى استطلاع آراء من حوله.

ثالثا: أراد عبد الناصر بعد هزيمة ١٩٦٧ إعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى ليصبح حزبًا قويًا يحكم البلاد.. وكانت لديه رغبة أكيده فى إعطائه صلاحيات وآليات تسمح بهامش من الحريات فى هياكله. وتقرر تكوين هيئة لترأس الاتحاد الاشتراكى.. هى اللجنة التنفيذية العليا (شبيهة بالنظام الذى كان معمولا به فى الاتحاد السوفيتى آنذاك).. وكان لابد من وجود نائب قوى له لتسيير دفة الاتحاد الاشتراكى.. وليس كأى نائب.

رابعا: إن مؤسسة الرئاسة فى عهود عبد الناصر والسادات ومبارك.. هى المؤسسة التى ترسم السياسات الأساسية لمصر وتحافظ على أمنها القومى. وفى شهادة مطولة لسامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات والرجل الذى كان لصيق الصلة بعبد الناصر يشرح بالتفصيل كيف تكونت ملامح مؤسسة الرئاسة فى عهد عبد الناصر على

مراحل تدريجية.. حتى أصبحت المطبخ السياسى الأول والأكبر فى نظام عبدالناصر.. فمنها تنطلق الأفكار ومشروعات القرارات وإليها تصدر التوجيهات بإعداد تقديرات الموقف.. وبواسطتها تتم بلورة كل الرؤى الصادرة عن مختلف مؤسسات الدولة التشريعية والتنفيذية فضلاً عن اتجاهات الرأى العام والمساهمات الخاصة لبعض كبار المفكرين والسياسيين. وكانت مؤسسة الرئاسة تضم جيشا من الباحثين والخبراء والمترجمين.. ولها صلاحيات واسعة لاستدعاء الوزراء والمسئولين وتضم مؤسسة الرئاسة عدة إدارات سياسية وفنية.. ومكاتب متخصصة لمساعدة الرئيس ومستشارين نوعيين.

وبعد هزيمة ١٩٦٧.. تشكلت لجنة العمل اليومى على قمة هرم مؤسسة الرئاسة. وكانت هذه اللجنة تجتمع مرتين يوميا.. وكان لها أن تلتقى بمن تراه من كبار المسئولين لمناقشة كل ما يتعلق بتسيير أمور الدولة.. وتسهيل اتخاذ القرار على عبد الناصر.. وعندما كان يصعب انعقاد اللجنة فى مسائل عاجلة وحيوية.. فكانت تجتمع عبر مؤتمر هاتفى عبر شبكة هاتفية خاصة كانت تحت سيطرة المخابرات العامة وذلك بفتح خطوط تليفونية يستحيل التنصت عليها.. بين المؤتمرين الذين يتبادلون بحث الموضوع فى سرية وسرعة.

واللافت للنظر أنه فى يوم ١٣ سبتمبر ١٩٦٩ وهو نفس اليوم الذى أصيب فيه الرئيس عبد الناصر بالأزمة القلبية الأولى أعيد تشكيل مجموعة لجنة العمل اليومى وأصدر عبد الناصر قرارا بتعيين أنور السادات رئيسا لهذه اللجنة التى تعتبر أهم هيئة أو كيان يدير شئون الدولة بشكل يومى.. وهو قرار له مغزاه وله وزنه.. خاصة أنه كان قبل ثلاثة أشهر كاملة من قرار تعيين السادات نائبا لرئيس الجمهورية. وكانت لجنة العمل اليومى برئاسة السادات تضم فى عضويتها كلا من: على صبرى وشعراوى جمعة (وزير الداخلية) وأمين هويدى (مدير المخابرات العامة) والفريق أول محمد فوزى (وزير الحربية) وسامى شرف (سكرتير الرئيس للمعلومات).. كما كان ينضم إليها فى بعض الاجتماعات محمد حسنين هيكل. وكانت هذه اللجنة تجتمع فى مكتب

سكرتارية الرئيس للمعلومات مرة أو مرّتين فى اليوم حسب تطورات الموقف الداخلى والخارجى والعسكرى.. وفى بعض الأحيان كان يتم الاجتماع فى قصر الأمير عبدالمنعم فى مصر الجديدة.

هذه اللجنة وبالدور الذى كانت تمثله.. تعطى إشارة قوية إلى مكانة السادات فى عام ١٩٦٩ عند عبد الناصر. ولا يمكن بحال أن يدعى أحد أنها أيضا كانت مجرد لجنة شكلية على غرار منصب نائب الرئيس !

خامسا: إن المتتبع لأنشطة عبد الناصر عامى ١٩٦٩ و ١٩٧٠ يرى بوضوح قرب السادات منه سواء على المستوى الوطنى أو العربى. ولقد أدرك عبد الناصر أهمية الدعم العربى لجهود مصر لاستعادة الأراضى المحتلة والخروج من النفق المظلم لهزيمة ١٩٦٧. ولعله لم يجد من رجاله أفضل من السادات الذى كانت تربطه علاقات جيدة بالكثيرين من قادة الدول العربية. ولذلك رأى أن وجوده إلى جانبه نائبا له.. من شأنه أن يعضد جهوده للم الشمل العربى والدعم العربى.

عبد الناصر ومحاولاته لإعادة بناء القوات المسلحة

سادسا: يلاحظ من محاضر اجتماعات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى عامى ١٩٦٨ و ١٩٦٩.. والتى شهدت هامشا كبيرا فى حرية المناقشات بالمقارنة بالطبيعة الاستبدادية لسنوات ما قبل ١٩٦٧.. وفى كثير من هذه المناقشات المطولة.. يبدو السادات متوازنا وواثقا من نفسه سواء فى وصفه الدقيق لبعض الأحداث أو فى حواراته. ويلاحظ أيضا أن عبد الناصر كان يميل فى أغلب الأحوال إلى آراء السادات ويدافع عنه.

بين ناصر.. وعامر

وُلِدَ عبدالحكيم عامر فى ١١ ديسمبر ١٩١٩ وتوفىّ فى ١٤ سبتمبر ١٩٦٧ وبين هذين التاريخين عاش الرجل حياةً استثنائية فقد كان أحد رجال ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر. وكان صديقاً للرئيس جمال عبد الناصر وصلاح نصر ووزير الحربية حتى حرب ١٩٦٧.

وقائدًا عامًا للقوات المسلحة ونائب رئيس الجمهورية وكان عامر قد تخرج فى الكلية الحربية فى ١٩٣٩ ثم شارك فى حرب ١٩٤٨ فى نفس وحدة جمال عبد الناصر.

لعب عامر دوراً كبيراً فى القيام بالثورة عام ١٩٥٢. وفى العام التالى ١٩٥٣.. أصبح رئيساً للأركان. قاد القوات المصرية والمقاومة فى حرب العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ بعد الوحدة مع سوريا.. عام ١٩٥٨.. أصبح القائد الأعلى للقوات المشتركة.

فى عام ١٩٦٤ أصبح نائباً أول لرئيس الجمهورية. ثم جاءت حرب ١٩٦٧ لتضع نهاية لمستقبله.. حيث أعفى من جميع مناصبه وأُحيل للتقاعد. ثم وضع قيد الإقامة الجبرية فى منزله.. فى أغسطس ١٩٦٧ بسبب التصرفات الارتجالية غير المدروسة لقيادته المعارك ثم انهياره مما ادى إلى التخبط فى اصدار قرار الانسحاب من سيناء الذى أدى للهزيمة كما ألقى القبض على ٥٠ ضابطاً ووزيرين سابقين معه بتهمة التخطيط لانقلاب عسكرى مضاد لعبدالناصر.

يـ تهمه السوريون مع أنور السادات بأنهما وراء افشال مشروع الوحدة الجمهورية العربية المتحدة بسبب سلوكهما الاستعلائى والتصرفات الارتجالية التى اضرت سوريا واقتصادها. كما يتهمهما اليمنيون بأنهما وراء فشل إلحاق اليمن بمشروع الوحدة المنتظرة بعد الثورة اليمنية وحرب نصرة اليمن حيث يذكر رئيس الوزراء اليمنى الاسبق محسن العينى بأن تصرفاتهما لم تكن وحدوية وودية بل تصرفات قوات غازية ومحتلة ذات طبيعة عنجهية متسلطة. أما الرئيس العراقى الأسبق عبد السلام عارف كان دائما يشير إلى سبب تعطيل مشروع الوحدة الثلاثية وهو يرجع إلى المشير عامر وأنور السادات.

يـ قال إنه أقدم على الانتحار فى ١٤ سبتمبر ١٩٦٧ كما أعلن عن ذلك فى حينه بسبب تأثره بهزيمة حرب ١٩٦٧.. ولكن جهات تقول إنه مات مسموما على أرجح الأقوال.. فلماذا انتحر عبد الحكيم عامر؟

لا شك أن مسئوليته عن الهزيمة المرة للقوات المسلحة المصرية عام ١٩٦٧ على أيدى القوات الإسرائيلية كانت هى السبب فى إقدامه على الانتحار كما أعلن عن ذلك وقتذاك.. ولاتزال شخصيته تثير العديد من علامات الاستفهام حتى الآن.. خاصة أنه

كان على رأس المؤسسة العسكرية المصرية لأكثر من ١٤ عاما شهدت خلالها العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ وانفصال سوريا عام ١٩٦١ وتورط الجيش المصرى فى اليمن عام١٩٦٢ وأخيرا هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ التى سميت بالنكسة.

حياته الخاصة

تزوج عبد الحكيم عامر أكثر من مرة غير أن زواجه من الممثلة برلنتى عبد الحميد هو الأشهر.. حيث إنه كاد يفقد مستقبله السياسى بسبب هذا الزواج الذى لم يرض عنه الرئيس جمال عبد الناصر.. وأنجب عبد الحكيم عامر من زواجه هذا ولدا فى أبريل ١٩٦٧.. وقد ألفت برلنتى كتابا عن هذا الزواج أسمته «المشير وأنا» صدر عام ١٩٩٣.

التوجهات الفكرية

تبنى عبد الحكيم عامر الخط القومى الذى دعا إليه الرئيس جمال عبد الناصر على الصعيد العربى والنهج الاشتراكى فيما يتعلق بالإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية على الصعيد المصرى الداخلى. ولعب دورا مهما بنفوذه داخل المؤسسة العسكرية فى تنفيذ قوانين التأميم والإصلاح الاجتماعى. وكان عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى.

واقتنع بفكرة مركزية الدولة.. فكان هو وبمساعدة بعض الأجهزة الأمنية والعسكرية أحد مراكز القوة التى أثرت على التجربة الديمقراطية فى مصر طوال العهد الناصرى.

وهنا لابد أن نتوقف لنستعيد ثانية شريط الأحداث المتعلقة بالمشير الذى كان سببًا قويًا.. ومباشرًا فى أخطر لحظات انكسار عبدالناصر لنرى معًا كيف تجسد فى هذا الرجل نموذج الرجل السلطوى بشكل مكثف.

فقد خدم عبد الحكيم عامر فور تخرجه ضمن قوات الجيش المصرى العاملة فى السودان عام ١٩٤١.. والتقى هناك بجمال عبد الناصر حيث تعمقت رابطة الصداقة بينهما منذ ذلك الوقت. وحينما اندلعت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ كان عبد الحكيم

عامر وجمال عبد الناصر ضمن التشكيلات المصرية التى ذهبت إلى هناك. وبعد الحرب وما لحق بالعرب فيها من هزيمة على يد القوات اليهودية وما أسفرت عنه من إقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ عاد عبد الحكيم عامر إلى مصر ونقل إلى أحد مراكز التدريب فى منقباد بصعيد مصر.

عضوا فى الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار

ولا شك أن عبد الناصر رأى فى عامر نموذجًا وطنيًا.. يستحق الانضمام للتنظيم الذى بدأ يفكر فى إنشائه.. فقد كانت الحالة السياسية فى مصر تزداد توترا فى ظل موجات من الغضب الشعبى لما لحق بالجيوش العربية من هزيمة وقيام دولة إسرائيل كشوكة فى خاصرة العالم العربى الأمر الذى ساعد على بروز تيار داخل القوات المسلحة المصرية راغب فى التغيير.. وتشكل آنذاك ما عرف بالضباط الأحرار.. وأصبح عبد الحكيم عامر عضوا فى هيئته التأسيسية..

ترقيات سريعة

وبمرور الأيام تزداد ثقة ناصر فى عبدالحكيم وعلى يدى ناصر الذى وضع ثقته الكاملة فيه شهدت حياة عبد الحكيم عامر بعد نجاح الثورة تغييرات جوهرية وسريعة.. فتمت ترقيته وهو لم يزل فى الـ ٣٤ من العمر إلى رتبة لواء.. وأوكلت إليه مهمة قيادة القوات المسلحة.. وأصبح فى عام ١٩٥٣ وظيفته الجديدة هى القائد العام للقوات المسلحة المصرية.

وزيرا للحربية

وبعد عام واحد أيضا عين وزيرا للحربية مع احتفاظه بمنصبه فى القيادة العامة للقوات المسلحة.. ثم رقى إلى رتبة فريق عام ١٩٥٨.

مشيرا

وبعد قيام الوحدة مع سوريا تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة منح عبد الحكيم عامر رتبة مشير فى ٢٣ فبراير..شباط ١٩٥٨.

نائبا لرئيس الجمهورية

وكانت الترقية الأخرى التى رفعته إلى رتبة نائب رئيس جمهورية فى ٦ مارس. ١٩٥٨.. واستمر فى هذا المنصب حتى أغسطس.. ١٩٦١ حيث أضيفت إليه مهمة رئاسة اللجنة العليا للسد العالى ثم رئاسة المجلس الأعلى للمؤسسات العامة ذات الطابع الاقتصادى فى أبريل.. من العام نفسه.

الإشراف على حرب اليمن

وبعد قيام ثورة اليمن فى ٣٠ سبتمبر.. ١٩٦٢ واعتراف مصر بها ورغبة منها فى تدعيم الثوار الجدد أرسلت جزءا كبيرا من قواتها المسلحة إلى هناك.. وأسندت مهمة الإشراف عليها إلى المشير عبد الحكيم عامر بصفته قائدا عاما للقوات المسلحة وكانت أولى زياراته لليمن عام ١٩٦٣.

رئيسا للجنة العليا لتصفية الإقطاع

ثم تولى عبد الحكيم عامر رئاسة اللجنة العليا لتصفية الإقطاع فى مايو.. ١٩٦٦ وفى أكتوبر. من العام نفسه عهد إلى وزير الحربية شمس بدران ببعض اختصاصات القائد العام للقوات المسلحة وأصبح مسئولاً أمام عبد الحكيم عامر عن كل ما يكلفه به من أعمال عسكرية وإدارية. كل هذه الاستثناءات التى اختص بها ناصر عبد الحكيم عامر عكست بقسوة شديدة إحباط ناصر فى اختياره للرجل حتى جاءت حرب ١٩٦٧.

دوره فى حرب ١٩٦٧

وفى بداية عام ١٩٦٦ وقعت مصر وسوريا اتفاقية للدفاع المشترك بعد أن زادت التهديدات الإسرائيلية لسوريا.. وأبلغ الاتحاد السوفيتى والمخابرات السورية الرئيس جمال عبد الناصر بوجود حشود عسكرية على الحدود السورية فأصدر أوامره بالتعبئة العامة وحشد القوات المصرية فى سيناء فى ١٤ مايو.. ١٩٦٧ بهدف تخفيف الضغط على الجبهة الشمالية فى سوريا.

وفى ١٧ مـايو.. ١٩٦٧ تم إغلاق مضـايق تيـران وصنافـيـر فى وجه الملاحة الإسـرائيلية مما فجر حرب يونيو ١٩٦٧ وكان عبد الحكيم عـامر قائدًا عامًا للقوات المسلحة المصرية آنذاك.

وفى صبيحة يوم الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ فاجأ الطيران الإسرائيلى سلاح الطيران المصرى فدمر معظم طائراته وهى لاتزال رابضة فى القواعد العسكرية والمطارات المدنية.

بدت على المشـير عامر مـلامح الارتباك.. وفقـد قدرته على إدارة المعركة.. واتخذ قرارا سريعا للجيش المصرى بالانسحاب وتم ذلك بطريقة غـير منظمة مما زاد من خسائر القوات المصرية.

الانتحار

بعد الهزيمة أقيل عبد الحكيم عامر من جميع مناصبه.. واعتصم فى منزله بمحافظة الجيزة ـ فى مصر ـ ومعه بعض قيادات القوات المسلحة المتعاطفين معه.. فاستدعاه الرئيس جمال عبد الناصر للتفاوض معه حتى لا تزداد حالة البلبلة خاصة بعد أن وصلت عبد الناصر أنباء عن اعتزام المشير التوجه إلى إحدى القواعد العسكرية للقيام بانقلاب عسكرى من هناك.

وأثناء حوار عبد الناصر وعبد الحكيم عامر توجه وزير الحربية ورئيس الأركان الجديدان محمد فوزى وعبد المنعم رياض إلى بيت المشير وأمرا القادة المعتصمين بالمنزل بتسليم أنفسهم والأسلحة التى بحوزتهم.. وتحت التهديد باستعمال القوة استسلم هؤلاء القادة وانتهى الاعتصام.

ثم فرضت الإقامة الجبرية على المشير لكنه لم يحتمل ذلك خاصة فى ظل الانهيار النفسى الذى كان يعانى منه عقب الهزيمة.

وفى ١٤ سبتمبر ١٩٦٧ أُعلن عن موته منتحرًا.. ودفن فى قريته أسطال التى ولد فيها قبل ٤٨ عاما من وفاته.. وأغلقت صفحة الرجل الذى كان بؤرة الثقة المطلقة فى حياة عبد الناصر فتحول لأخطر منعطف ولحظة انكسار فى حياته.

■■■



3 الزعيم

ناصر بين الوطن العربى وإفريقيا ومصر!!



كان ناصر دائم التأثر بالأحداث الدولية وبالواقع العربى وأحداثه السياسية وتداعيات الحرب العالمية الثانية.. وانقلاب بكر صدقى باشا كأول انقلاب عسكرى فى الوطن العربى فى العراق عام ١٩٣٦ وثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ضد الانجليز والحكومة الموالية لهم عام ١٩٤١.. وتأميم مصدق لنفط إيران عام ١٩٥١.. والثورات العربية ضد المحتل مثل الثورة التونسية والثورة الليبية.

القومية العربية فى فكر عبد الناصر

عن ملامح فهمه وفكره الخاص عن القومية العربية يقول عبد الناصر فى بعض خطب:

- لقد كان أعظم الملامح فى تجربتنا الفكرية والروحية أننا لم ننهمك فى النظريات بحثاً عن حياتنا ... وإنما انهمكنا فى حياتنا ذاتها بحثاً عن النظريات.

إن العدل وحده يصنع السلام الدائم أما القوة فلقد تستطيع أن تفرض لبعض الوقت على موقف معين ولكنها حتى فى الأمر الواقع الذى تقيمه أبعد ما تكون عن معنى السلام واستمراره.

ناصر والأكراد

بداية بالنسبة لنظرة الزعيم الراحل جمال عبدالناصر للمسألة الكردية نجد أنه وبعد ٢٩ عامًا من وفاته وبالتحديد عام ٢٠٠٠ كرم البرلمان الكردى اسم عبد الناصر على أساس أنه من الزعماء الذين كان لهم دور متعاظم مع القضية الكردية.

ويوضح الباحث رجائى فايد التخصص فى الشئون الكردية أن من أشهر الصور المتداولة فى المدن الكردية صورة عبد الناصر وهو يتوسط مجموعة من الزعماء الأكراد.. مبينا أن الأكراد يقدرون اسم عبد الناصر للأسباب الآتية:

- تم افتتاح أول إذاعة كردية فى التاريخ عام ١٩٥٩ وكانت تبث من القاهرة بأمر مباشر من عبد الناصر.

- كان عبد الناصر يرى ضرورة حصول الأكراد على حقوقهم القومية شريطة ألا يمس ذلك وحدة الأراضى العراقية.. وكان رأيه أن حكما محليا متقدما للأكراد بالعراق قد يكون حلا معقولا لهذه الأزمة.

- استقبل عبد الناصر جلال طالبانى الذى كان عضوا فى الوفد العراقى المشارك فى مفاوضات الاتحاد الثلاثى.. وعرض عليه الطالبانى وجهة نظر الأكراد فى الاتحاد المزمع إقامته بين مصر والعراق وسوريا.

ناصر وأزمة أيلول الأسود ١٩٧٠:

أكدت الدكتورة نهى عثمان مدرس الإرشاد السياحى بجامعة المنوفية أنه خلال مرحلة التوتر التى غلفت العلاقات الأردنية ـ الفلسطينية عقب انتهاء حرب الأيام الستة عام ٦٧.. حرص عبد الناصر على اتباع سياسة هدفها تهدئة الوضع بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية.. ومن خلال الاتصالات الدبلوماسية بالملك حسين أكد حرصه على ضرورة تمسك الأردن بالحلول السلمية انطلاقا من سياسة بدأ عبد الناصر ينتهجها بعد هزيمة ٦٧ وهى إظهار كبح جموح النفس أمام العالم الخارجى فى حين يجب الاعتماد على المقاومة لإرهاق إسرائيل.. أمام اشتداد المقاومة عام ١٩٧٠ عقب قبول مصر بمبادرة روجرز.. تمسك ناصر بألا تكون تصفية المقاومة هى الحل لوقف تصرفات المقاومة.

فى ٦ سبتمبر قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بعمليات ضخمة لخطف الطائرات هدفها توجيه ضربة إلى حلفاء إسرائيل من الأمريكيين.. وأمام خطر

تصعيد الموقف للمواجهة مع إسرائيل ورغبة فى تأكيد سلطته قرر الملك حسين فى ١٦ سبتمبر شن حرب شاملة ضد الفلسطينيين للقضاء على المقاومة.

وقد أثارت المواجهة المسلحة بين الأردن والفلسطينيين انزعاج عبد الناصر لإدراكه أن هناك قوى خارجية تنتظر هذه اللحظة لتحقيق أهدافها فى تسوية غير مشروطة مع إسرائيل. لذا سارع عبد الناصر بالدعوة إلى عقد مؤتمر قمة عربى طارئ تستضيفه القاهرة يهدف إلى وقف إطلاق النار فى الأردن.. وبذل خلال المؤتمر كل قدراته لإقناع طرفى النزاع للتوصل إلى اتفاق مرضٍ يحفظ الكيان العربى أمام العالم.

القضايا الأفريقية

يعد عبد الناصر من أهم الزعماء الأفارقة الذين ساهموا مساهمة فاعلة فى مسيرة حركة الوحدة الأفريقية.. وقد ظهر ذلك جليًا من خلال جهوده التى أدت إلى نمو فكرة الوحدة الأفريقية.. ويمكننا القول إن فكر عبد الناصر الأفريقى قد ازداد نضجا منذ صدور كتاب فلسفة الثورة الذى بلور فيه هذا الفكر من خلال وضع اللبنات الأولى نحو رؤية أفريقيا فى مفهومها الشامل الكلى.

وأكد عبد الناصر أن مصر تعيش فى دوائر ثلاث وتتحرك خلالها.. ومن بين هذه الدوائر الدائرة الأفريقية التى يجب على مصر مد يد العون لها والأخذ بيدها لأن كل أفريقى لكل أفريقى أخ وجار ولكل جار على جاره حق المعونة حتى يأمن ويتحرر.

مصر والسودان

توضح الدكتورة أمانى الطويل خبير بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام أن فكرة تقرير المصير للسودانيين التى جاء بها عبد الناصر هى نوع من انواع الانقلاب على الفكر السياسى المصرى السائد الذى كان يؤمن بسيادة مصر على السودان.. وقد شكلت فكرة تقرير المصير أساسا جديدا للمعادلات السياسية الحاكمة بين مصر والسودان ودشنت مسارات جديدة لعلاقة الطرفين خاصة بعد استقلالهما عن الاستعمار البريطانى وذلك تحت مظلة خطاب قومى يدعو إلى التحرر الوطنى فى أفريقيا واستقلال القرار السياسى لدول القارة السمراء.

حلف الدفاع الأفريقى

يبحث الدكتور أحمد عبد الدايم مدرس التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة القاهرة فى الأسباب التى دفعت مصر لتبنى سياسة افريقية واضحة منذ خمسينيات القرن العشرين.. موضحا أن أفريقيا كغيرها من مناطق العالم كانت مركزا من مراكز الاستقطاب للأحلاف العسكرية.. وكان من الطبيعى ان تفرض أو يفرض عليها ما فرض على غيرها من مشروعات لأحلاف عسكرية.

وبحث الدكتور عبد الدايم فكرة الدفاع الأفريقى وتطورها.. والموقف المصرى منها سواء حين دعيت مصر للمشاركة فيها ورفضتها.. أو حين رُفض دعوتها من الأساس للمشاركة.. ثم حين تحولت الفكرة نفسها إلى محاولة لعزل وتهميش وحصار الدور المصرى فى افريقيا.

عبدالناصر.. وصراعاته الداخلية

حاول الدكتور عادل غنيم المؤرخ المصرى تقديم وجه آخر لعبد الناصر راصدًا المواقف السلبية له أو المواقف التى اضطر للقيام بها تخلصا من عدو أو إنقاذا لموقف.. فهى مواقف غير مشروعة أو غير إنسانية أو غير مبررة قانونًا.. على حد قوله.

سرد غنيم المعاملة اللا إنسانية التى عامل بها عبد الناصر بعض قادته عندما تخلص من محمد نجيب فلم يكتف بإقصائه بل تم تحديد إقامته ولم يسمح له باستقبال جثمان نجله ولا حتى زيارة قبره.

وأكد أن جمال كان يتحول فى حالة الخلاف معه إلى إنسان آخر يسعى للانتقام وقد حدث هذا مع عبد اللطيف البغدادى ومع كمال الدين حسين الذى اعتقل مع اسرته وزواره جميعهم وتوفيت زوجته بالمعتقل.

مهدى عاكف المرشد العام للإخوان المسلمين

وعندما اصطدم مع الاخوان والشيوعيين لم يكن يكتفى بالاعتقال وإنما متابعة الانتقام والتعذيب وكلها أحداث تحفل بها المراجع المختلفة.. إضافة لعشرات الأحكام.. وفق د. غنيم.

وأضاف: يحاول بعض المدافعين عن عبد الناصر الإدعاء بأن أجهزة السلطة هى التى كانت تقوم بالتعذيب دون علمه ولكن هذا مستحيل لرجل تتوافر له كل وسائل الرصد.. وذلك من باب «فإن كنت تدرى فهذه مصيبة وإذا كنت لا تدرى فالمصيبة أكبر».

وأضاف أن زينب الغزالى المناضلة المصرية والناشطة الإسلامية فى ذلك العهد اقسمت أنها رأت جمال وعبد الحكيم عامر ينظران اليها من خلف غرفة التعذيب.

وقال إن الرئيس عبدالناصر لجأ كذلك إلى تدبير الانفجارات لإثارة مخاوف الناس حيث قام بتدبير ستة انفجارات دفعة واحدة فى مدينة القاهرة لم ينتج عنها خسائر مادية ولكنها أثارت مخاوف شديدة بين الناس. وقد روى البغدادى لخالد محيى الدين أن ناصر هو من دبر هذه الانفجارات لإثارة مخاوف الناس من الاندفاع لمطالب الديمقراطية.

كما لجأ احيانا لاستخدام الرشوة من أجل تنفيذ أهدافه حيث قام بتوزيع ٤ آلاف جنيه على العمال لتنفيذ اضراب عمال النقل العام.

ويتابع: بعد ثورة يوليو نجد السلطة ممثلة فى ناصر الذى تدخل فى حذف بعض الحقائق التاريخية حيث تم حذف اسم محمد نجيب واشير إلى اسمه هو كأول رئيس جمهورية.. وبعد إقالة نجيب ذهب للإذاعة وطلب كل الشرائط التى تخص زعماء الأمة.. لمحو تاريخ محمد نجيب.

ويضيف د. غنيم انه بمراجعة تلك السلبيات نجد انها تمت خلال الأعوام من ٥٢: ١٩٥٦م وقد قام بها من أجل الحفاظ على السلطة بيده حيث لم يكن لديه مانع من استخدام وسائل ميكيافيللية من أجل تحقيق أهدافه.

ناصر.. والإخوان

كما أعجب بحركة الإخوان المسلمين ثم مالبث أن توصل إلى رأى بأنه لا جدوى من أحزاب دينية فى وطن عربى يوجد فيه العديد من الأعراق والطوائف والأديان المختلفة.

لكن هل نستطيع أن نفهم كل ذلك دون الرجوع لأحداث أهم أيام عبدالناصر.. وهو ذلك اليوم الذى تحول على يده ويد رفاقه إلى أخطر منعطفات مصر فى القرن العشرين ونقصد به ٢٣ يوليو.. تعالوا لنعود للحدث من جديد لنفهم عن قرب عبدالناصر أكثر.. وأكثر.

ثورة ٢٣ يوليو وقيام الجمهورية

بعد سلسلة من الإخفاقات التى واجهها الملك فاروق داخلياً وخارجياً وخصوصاً تخبطه فى علاقاته أثناء الحرب العالمية الثانية بين دول المحور والحلفاء مما زعزع موقف مصر كثيراً وأدى إلى إنشاء ثانى أكبر قاعدة بريطانية فى المنطقة فى السويس بعد الحبانية فى الفلوجة فى العراق.. وكذلك موقفه فى حرب ١٩٤٨ التى انتهت بكارثة الهزيمة.. وفضيحة الأسلحة الفاسدة.. وقبل ذلك كانت الدعوات والضغوطات داخليا وعربيا تحث قادة الجيش على لعب دورهم المنشود فى إصلاح الأوضاع المصرية.. ومنها ما كانت تبثه محطة إذاعة برلين العربية إبان الحرب العالمية الثانية والتى كانت تحت تصرف كل من الشخصية الوطنية العراقية رشيد عالى الكيلانى ومفتى القدس أمين الحسينى.. وأخذ الكيلانى بعد أن نجح فى العراق عام ١٩٤١ بإحداث أول ثورة تحررية شاملة.. وإن كانت غير مباشرة فى الوطن العربى ضد الانجليز.. كانت ذات طبيعة خاصة تنادى بوحدة الأقطار العربية.. فأطلقت التصريحات والبيانات للقادة والجيوش العربية بضرورة الانتفاض ضد الهيمنة البريطانية والفرنسية. وحث الجيش المصرى على الثورة ضد المستعمر الذى يدعم النظام الملكى منبهين من خطر المخططات الأجنبية لمنح فلسطين لليهود.. وخص الجيش المصرى بخطاب يحثه على مقاومة الانجليز من خلال دعم وتأييد الألمان ودول المحور.. وبعد مهادنة الملك فاروق للانجليز أصدر الكيلانى بيانًا يحث الجيش المصرى بالثورة على الملك.. ولقيت دعوة الكيلانى تفهمًا خاصًا.. وترحيبًا شديدًا من القادة العسكريين المصريين.. وكان لشعاراته الثورية والتحررية من خلال إذاعة برلين العربية الأثر الشديد فى نفوس ثوار مصر.. وانتهى كل ذلك بالإطاحة بالملك فاروق فى يوليو ١٩٥٢ على يد الثورة..

ولم تلق ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عند قيامها مقاومة تذكر.. ولم يسقط فى تلك الليلة سوى ضحيتين فقط.. هما الجنديان اللذان قتلا عند اقتحام مبنى القيادة العامة..

مبررات اختيار محمد نجيب قائداً للثورة

وكان الضباط الأحرار قد اختاروا محمد نجيب رئيسا لحركتهم.. وذلك لما يتمتع به من احترام وتقدير ضباط الجيش.. وذلك لسمعته الطيبة وحسه الوطنى.. فضلا عن كونه يمثل رتبة عالية فى الجيش.. وهو ما يدعم الثورة ويكسبها تأييدا كبيرا سواء من جانب الضباط.. أو من جانب جماهير الشعب.. لكن الوضع لم يستمر هكذا طويلاً.

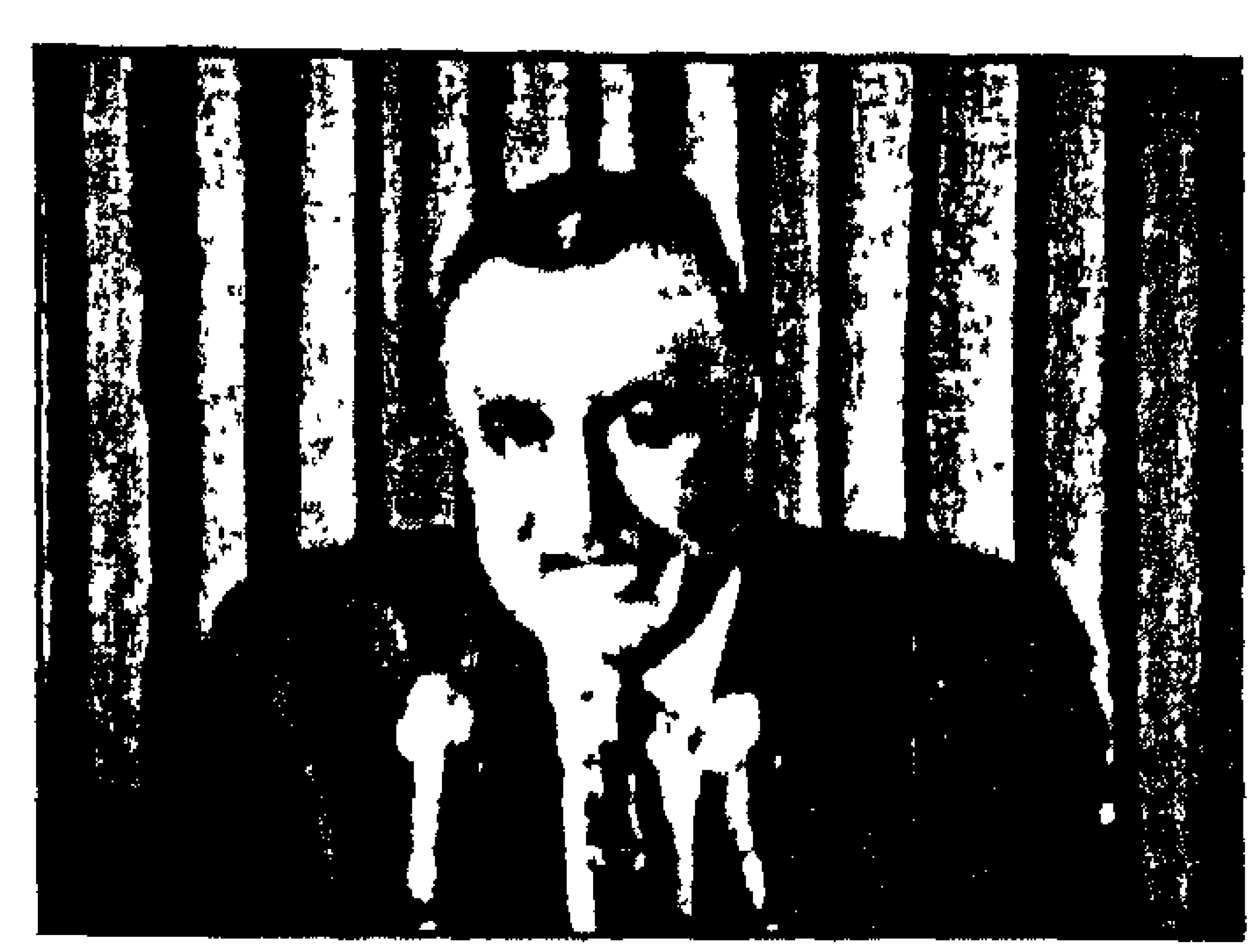
أسباب خلاف ناصر.. ونجيب

فقد كان عبد الناصر هو الرئيس الفعلى للجنة التأسيسية للضباط الأحرار.. ومن ثم فقد نشأ صراع شديد على السلطة بينه وبين محمد نجيب.. ما لبث أن أنهاه عبد الناصر لصالحهفى ١٤ نوفمبر ١٩٥٤.. بعد أن اعتقل محمد نجيب.. وحدد إقامته فى منزله بالمرج.. وانفرد وحده بالسلطة.. و استطاع أن يعقد اتفاقية مع بريطانيا لجلاء قواتها عن مصر وذلك فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤.. وذلك بعد موافقته على التخلى عن وحدة مصر والسودان.فى عام ١٩٥٨ أقام وحدة اندماجية مع سوريا.. وسميت الدولة الوليدة بالجمهورية العربية المتحدة.. إلا أن هذه الوحدة لم تدم طويلاً.. حين حدث انقلاب فى الاقليم السورى فى فبراير من عام ١٩٦١ أدى إلى إعلان الانفصال ثم تم عقد معاهدة وحدة متأنية مع العراق وسوريا عام ١٩٦٤ إلا أن وفاة الرئيس العراقى المشير عبد السلام عارف عام ١٩٦٦.. ثم اندلاع حرب ١٩٦٧ حالت دون تحقيق الوحدة. علما أن مصر استمرت فى تبنى اسم الجمهورية العربية المتحدة حتى عام ١٩٧١ أى إلى ما بعد رحيل عبد الناصر بعام.

التنحى

بعد حرب ١٩٦٧ كما سميت فى إسرائيل والغرب أو النكسة كما عرفت عند العرب.. خرج عبدالناصر على الجماهير طالباً منهم السماح له بالتنحى من منصبه.. إلا أنه

خرجت مظاهرات فى العديد من مدن مصر و خصوصا فى القاهرة طالبته بعدم التنحى عن رئاسة الجمهورية.



ناصر.. وهو يعلن على الملأ عبر شاشات التليفزيون تنحيه عن منصبه

كان مؤتمر باندونج سنة ١٩٥٥ نقطة انطلاق عبدالناصر إلى العالم الخارجى.. لكنه كان ما زال يحلم بالوحدة العربية.. وكما قلنا دعم الرئيس عبد الناصر القضية الفلسطينية وساهم شخصيا بالحرب الإسرائيلية عام ١٩٤٨ وجرح فيها.. وعند توليه الرئاسة اعتبر القضية الفلسطينية من أولوياته لأسباب عديدة منها مبدئية ومنها استراتيجية تتعلق بكون قيام دولة معادية على حدود مصر سيسبب خرقًا للأمن الوطنى المصرى. كما أن قيام دولة إسرائيل فى موقعها فى فلسطين يسبب قطع خطوط الاتصال السوقى والجماهيرى مع المحيط العربى خصوصا الكتلتين المؤثرتين الشام والعراق.. لذلك كان يطمح لقيام وحدة إما مع العراق أو سوريا أو مع كليهما.. كما كان لعبد الناصر دور بارز فى مساندة ثورة الجزائر وتبنى قضية تحرير الشعب الجزائرى فى المحافل الدولية. سعى جمال عبد الناصر بكل ما أوتى من قوة ليحقق الوحدة العربية.. فكانت تجربة الوحدة بين مصر وسوريا فى فبراير ١٩٥٨ تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة.. وقد تولى هو رئاستها بعد أن تنازل الرئيس السورى شكرى القوتلى له عن الحكم.. إلا أنها لم تستمر أكثر من ثلاث سنوات.. أى أن عبد الناصر عاش الحلم.. وانكساره مع كل دولة وقضية عربية.. وعمل على تصدير الثورة لكل البلدان فساند الثورة العسكرية المتمردة على الحكم التى قام بهاالجيش بزعامة المشير

عبد الله السلال فى اليمن سنة ١٩٦٢ ضد الحكم الإمامى الملكى حيث أرسل عبد الناصر نحو ٧٠ ألف جندى مصرى إلى اليمن لمقاومة النظام الملكى الذى لقى دعما من المملكة العربية السعودية وقد يعزى إلى هذا التدخل إرهاق الجيش المصرى فى اليمن مما سبب الخسارة الفادحة له عام النكسة.. لكن نفاجأ على الجانب الآخر بصحيفة سلاح الجو الإسرائيلى تؤكد أن طيارين إسرائيليين شاركوا فى مساعدة القوات الموالية لنظام الإمام بدر أثناء تصديها للجيش المصرى الذى أُرسل إلى اليمن لدعم الثورة فى ستينيات القرن الماضى.

ووفقا للصحيفة.. فإن الطيران الإسرائيلى نفذ عددا من الطلعات الجوية فوق اليمن أسقط أثناءها السلاح والعتاد للقوات الموالية للإمام بدر فى عملية أعطيت اسم صلصة.

وكشفت الصحيفة عن قيام سلاح الجو الإسرائيلى بتنفيذ ١٤ طلعة جوية أسقطت أثناءها الأسلحة والعتاد العسكرى والأغذية والمواد الطبية لمساعدة القوات الموالية للإمام بدر -آخر أئمة اليمن- فى حربه ضد الجيش المصرى وقوات الثوار اليمنيين.

كما كشفت الصحيفة أيضا وثائق سرية عن ذلك وصورا لبعض الطيارين الإسرائيليين.. إضافة إلى نشرها صورا لبعض من أسمتهم موالين للأمام بدر وبحوزتهم السلاح الإسرائيلى.

وأثار الكشف الجديد آراء عدة فى الأوساط الإسرائيلية خصوصا لدى المحللين العسكريين.. فقال المحلل العسكرى لصحيفة معاريف عمير رابابورت: إن العملية مثيرة للغاية من الناحية العسكرية لاسيما أنها جرت على بعد ٢٢٠٠ كم وفى مرحلة الستينيات حيث لم تكن الطائرات متطورة كما هو اليوم.

ورأت إسرائيل آنذاك أن قتال القوات المصرية فى اليمن سينهك القدرة العسكرية لنظام الرئيس المصرى السابق جمال عبد الناصر مما يسهم فى إنهاك الجيش المصرى ويحول دون شنه حربا على إسرائيل.

وعند هذه النقطة بدأت العلاقة بين إسرائيل ونظام الإمام بدر عبر وساطة مجموعة ضباط كوماندوز بريطانيين.

ويرجح أن إسرائيل نجحت آنذاك فى اختراق العالم العربى لمواجهة المد الناصرى مما يكون له أثر فى هزيمة الجيش المصرى إبان نكسة يونيو ١٩٦٧ حيث نجح الجيش الإسرائيلى فى احتلال أجزاء من أراضى ثلاث دول عربية هى الأردن ومصر وسوريا.

كما أيد حركة يوليو ١٩٥٨ الثورية فى العراق التى قادها الجيش العراقى بمؤازرة القوى السياسية المؤتلفة فى جبهة الاتحاد الوطنى للاطاحة بالحكم الملكى فى ١٤ يوليو ١٩٥٨.

ثورة التصنيع

شهدت مصر فى الفترة من مطلع الستينيات إلى ما قبل النكسة نهضة اقتصادية وصناعية كبيرة.. بعد أن بدأت الدولة اتجاها جديدا نحو السيطرة على مصادر الإنتاج ووسائله.. من خلال التوسع فى تأميم البنوك والشركات والمصانع الكبرى.. وإنشاء عدد من المشروعات الصناعية الضخمة.. وقد اهتم عبد الناصر بإنشاء المدارس والمستشفيات.. وتوفير فرص العمل لأبناء الشعب.. وتوَّج ذلك كله ببناء السد العالى الذى يُعد أهم وأعظم إنجازاته على الإطلاق.. حيث حمى مصر من أخطار الفيضانات.. كما أدى إلى زيادة الرقعة الزراعية بنحو مليون فدان.. بالإضافة إلى ما تميز به باعتباره المصدر الأول لتوليد الكهرباء فى مصر.. وهو ما يوفر الطاقة اللازمة للمصانع والمشروعات الصناعية الكبرى.

ناصر وانكساراته الداخلية

بعد محاولة الاغتيال الفاشلة التى تعرض لها عبد الناصر فى ميدان المنشية بالإسكندرية اصطدم عبد الناصر بجميع الناشطين السياسيين وعلى رأسهم الشيوعيون وجماعة الإخوان المسلمين وكلاهما جماعات محظور نشاطها فى مصر فى ذلك الوقت. وألقت الدولة المصرية آنذاك القبض على الآلاف من أعضاء تلك

الجماعات.. وأجريت لهم محاكمات عسكرية وحُكم بالإعدام على عدد منهم. وامتدت المواجهات إلى النقابات المختلفة.. فقد تم حلّ مجلس نقابة المحامين بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٩٥٤.. ثم تلتها نقابة الصحفيين فى عام ١٩٥٥. كما ألغيت الحياة النيابية والحزبية ووحدت التيارات فى الاتحاد القومى عام ١٩٥٩ ثم الاتحاد الاشتراكى بعام ١٩٦٢. فى ٢٦ سبتمبر من العام نفسه أرسل الرئيس عبد الناصر القوات المسلحة المصرية إلى اليمن لدعم الثورة اليمنية التى قامت على غرار الثورة المصرية وأيدت السعودية الإمام اليمنى المخلوع خوفا من امتداد الثورة اليها وهو ما أدى إلى توتر العلاقات المصرية السعودية.. ويدعى معارضو عبد الناصر بأن ذلك كان له أثره السيئ فى استنزاف موارد مصر وإضعاف قوتها العسكرية.. وكانت أبرز عواقبه الوخيمة تلك الهزيمة العسكرية الفادحة التى منيت بها القوات المسلحة فى حرب ١٩٦٧ مما أدى إلى سقوط شبه جزيرة سيناء والضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان فى يد إسرائيل فى غضون ستة أيام.. وآخر مهام عبد الناصر كان الوساطة لإيقاف أحداث أيلول الأسود بالأردن بين الحكومة الأردنية والمنظمات الفلسطينية فى قمة القاهرة فى ٢٦ - ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠. حيث عاد من مطار القاهرة بعد أن ودع أمير الكويت. عندما داهمته نوبة قلبية بعد ذلك.. وأعلن عن وفاته فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ عن عمر ٥٢ عاما بعد ١٨ عاماً قضاها فى السلطة بالكيفية التى سنتحدث عنها فى حينه.

سد.. عبدالناصر.. العالى

لم يكن تجاوب جماهير الشعب العربى فى مصر وكل الأقطار العربية مع غناء عبدالحليم حافظ قولنا حنبنى وأدى إحنا بنينا السد العالى.. يا استعمار بنيناه بايدينا.. سوى تعبير دقيق المعنى والمغزى عن قصة كفاح حقيقية امتلأت بالدماء والدموع والعرق لتروى هذه الملحمة الرائعة.. وأيضا عن القدرة إذا توفرت الإرادة على الاستقلال وتحدى قوى الشر التى لا تريد خيرا لهذا الوطن.. كانت ملحمة بناء السد العالى ترجمة واقعية بلا مساحيق أو ماكياج لمقولة القائد جمال عبدالناصر ارفع

راسك يا أخى فعلى أرض أسوان كان البناء الضخم الذى ارتفع فوق هامات الرجال الأشداء.. وعلى أرض بورسعيد كان الدفاع البطولى عن حق المصريين فى استرداد ثرواتهم وثرواتنا بعد قرار تأميم قناة السويس.

لم تكن إذن معانى الرجولة والنخوة والشهامة غائبة أبدا.. بل أطلت بأضوائها لتملأ النفوس فخرا وعزة وكرامة وتبعث الدفء فى الأجساد التى حملت الفئوس والرمال لتشييد السد.. ويتحول الظلام إلى طاقة نور والموت والفيضان إلى حياة ونماء.

مع بداية الستينيات من القرن الماضى احتشدت مصر خلف مشروع السد العالى ولمدة عشر سنوات كان ثلاثون ألف عامل يصلون الليل بالنهار لاستكمال العمل.. العمل يتواصل.. مهندسون وخبراء ومعدات لا مثيل لها تتوافد على المكان.. تسمع أصوات التفجيرات تتناغم مع أصوات العمال والسيارات والآلات.. من أجل تشييد جدارين متوازيين عبر النيل يفصل بينهما رمال وصخور لتشييد جسد السد.. ما يزيد على ثمانية ملايين طن للبناء ومئات الأطنان من المتفجرات والديناميت لنزع مائة ألف طن من الصخور فى المرحلة الأولى لتحويل مجرى نهر النيل.. وأكثر من ٤٠ مليون متر مكعب من الرمال والخرسانة.. وثلاثين ألف عامل لاستكمال معجزة السد العالى بطول ٣٦٠٠ متر وارتفاع ١١١ مترًا فوق قاع النهر وعرض ٤٠ مترًا.. كان الهدف حماية البلاد من الفيضان والتوسع الزراعى وتوفير الطاقة الكهربائية.

لم تكن المعركة سهلة أو طريقها مفروشا بالسجاد الأحمر.. سعت مصر الثورة وراء هدف إنقاذ حياة آلاف المصريين الذين كان يحصدهم فيضان النيل.. وإنارة ربوع الأرض المصرية فى المدن والريف للقضاء على زمن لمبة الجاز.

قصص مرعبة حفلت بمآس عديدة طواها الفيضان وآن لها أن تتوقف وفى سبيل ذلك الهدف الاسمى رفض جمال عبدالناصر الضغوط والمغريات مغريات الارتماء فى أحضان الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وقروض وأموال البنك الدولى.. وضغوط الانضمام إلى الأحلاف العسكرية فأعلن عبدالناصر رفضه الدخول فى حلف بغداد وإزاء محاولات لى الذراع لجأ عبدالناصر إلى المعسكر الاشتراكى بقيادة الاتحاد

السوفيتى لشراء السلاح.. ووجدت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية أن الثورة العربية تتحدى فقامتا بسحب عرض تمويل إنشاء السد العالى فى ٢٥ يوليو ١٩٥٦.. وسبقهما البنك الدولى بسحب الموافقة على التمويل.

فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ كان جمال عبدالناصر قد قرر إعلان قرار تأميم قناة السويس ليس ردا على موقف الغرب من تمويل السد العالى بل استمرارا لمنهج طبقه جمال عبدالناصر منذ اللحظة الأولى لقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بأن يسترد المصريون أرضهم وما عليها من ثروات لتكون السيادة لمصر لا لأجنبى مهما كان.. ولم ينتظر الاتحاد السوفيتى طويلا فقد تقدم بعرض بناء السد العالى.. وقررت مصر استغلال قناة السويس بعد التأميم فى تمويل بناء السد الأمر الذى أثار الاستعمار القديم والحديث.. ودعت كل من بريطانيا وفرنسا إلى وصاية دولية على قناة السويس.. وعقد المؤتمر الدولى فى لندن وضم ٢٤ دولة فى ١٦ أغسطس ١٩٥٦ لبحث الأمر وفشل المؤتمر وفشل غيره من المؤتمرات.. فتقرر الشروع فى تنفيذ مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر.

وفى يوم السبت ٩ يناير ١٩٦٠ ضغط جمال عبدالناصر على زر أحمر فتحول الجبل فى الحال إلى كميات من الصخور المتطايرة الصلبة قدرت بأكثر من ٢٠ ألف طن اهتزت لها جبال النوبة بأكملها.. مئات المهندسين والعمال باتوا يحفرون ٦ فتحات عميقة تشبه الانفاق فى الجبل القريب من منطقة خور كندى ويملأونها بـ ٩ أطنان ديناميت وبالقرب من موقع الاحتفال وفى خيمة كبيرة كان الرئيس عبدالناصر يعرض النموذج المجسم للسد ثم التقى بمن يعملون فى المشروع وسألهم عن موعد انتهاء المرحلة الأولى فأجابوا بأنه سيكون فى ١٥ مايو عام ١٩٦٤.. وقال الدكتور حسن زكى رئيس لجنة بناء السد: إن محطة كهرباء السد هى أكبر محطة فى العالم فسأله عبدالناصر هل هى أكبر محطة على الإطلاق فرد الدكتور حسن زكى هى أكبر محطة تحت الأرض.. وفى ١٤ يناير ١٩٦٠ عقد الرئيس الأمريكى إيزنهاور مؤتمرا صحفيا أعلن فيه أن الولايات المتحدة تبحث مسألة تقديم العون للجمهورية العربية المتحدة

لتنفيذ المراحل التالية من مشروع السد عن طريق البنك الدولى ولم يستبعد إيزنهاور أن تقدم أمريكا قرضا إضافيا لهذا المشروع بعد تقرير للمخابرات الأمريكية حذر من تغلغل السوفيت فى إفريقيا عبر مشروع السد العالى ومع بدء المرحلة الثانية للسد سارعت ألمانيا الغربية وقتها بتقديم قروض لمصر بلغت قيمتها ٣٠٠ مليون مارك.

والسد العالى الذى يساوى حجم الهرم الأكبر ١٧ مرة تم الإعداد له بعد الثورة مباشرة وهو عبارة عن سد ركامى يغلق مجرى النيل على بعد ٨ كيلو مترات جنوب أسوان و٦ كيلو مترات جنوب خزان أسوان.. مع تحويل المياه إلى مجرى جديد من جهة الشرق من خلال مجرى جديد عبارة عن قناة مكشوفة تتوسطها ٦ أنفاق ويبلغ طول السد الكلى ٣٦٠٠ متر منها ٢٥٠ مترا بين ضفتى النيل ويمتد الباقى على هيئة جناحين على جانبى النهر.. طول الجناح الأيمن ٢٣٢٥ مترا على الضفة الشرقية والأيسر ٧٥٥ مترا على الضفة الغربية.. وأول تفجير بدأت به المرحلة الأولى للمشروع فى ٩ يناير ١٩٦٠ بحضور جمال عبدالناصر والرئيس شكرى القوتلى والملك محمد الخامس وتحويل مجرى النيل فى ١٥ مايو ١٩٦٤.. وحجم المواد المستخدمة فى جسم السد حوالى ٤٣ مليونا و ٣١١ ألف متر مكعب من الركام بما يساوى ١٧ مرة حجم الهرم الأكبر.. ويبلغ ارتفاع السد ١١١ مترا فوق قاع النيل وعرضه عند القاع ٩٨٠ مترا وعند القمة ٤٠ مترا.. وعمق مجرى التحويل ٨٠ مترا وتم حفرها باستخدام ٣٧٠٠ طن متفجرات.. والطول الكلى لمجرى التحويل ١٩٥٠ مترا وبها ستة أنفاق يتفرع كل نفق إلى فرعين.. مجموع طول الأنفاق ٢٠٣٠ مترا يبلغ! قطر النفق ١٥ مترا ويبلغ مجموع أوزان البوابات داخل الأنفاق ٢٠ ألف طن.. وتتصل فروع الأنفاق الإثنى عشر بمحطة الكهرباء التى تتكون من ١٢ توربين قوة كل توربين ١٨٠ ألف كيلو وات بينما يبلغ قطر عجلة التوربين ٦,٣ متر ووزنها ٧٦٥ طنا وتبلغ قوة كل مولد كهربائى ١٧٥٠٠٠ كيلو وات ومجموع وزن المولدات الكهربائية بالمحطة ٣٠ ألف طن.. وتم استخدام ٢٠٠ ألف متر مكعب خرسانة فى أساسات المحطة بما يساوى ١٠٠ مرة أساسات مجمع التحرير.. ويمكن الحصول على طاقة كهربائية سنوية من محطة كهرباء السد العالى عشرة آلاف

مليون كيلو وات.. ساعة.. ولحظة ضغط ناصر علي زر السد الأحمر كانت بلا شك واحدة من أعظم لحظات الانتصار فى حياته.

التجربة الناصرية

الناصرية حركة نشأت فى ظل حكم جمال عبد الناصر واستمرت بعد وفاته واشتقت اسمها من اسمه وتبنت الأفكار التى كان ينادى بها وهى: الحرية والاشتراكية والوحدة وهى نفس أفكار الأحزاب القومية اليسارية العربية الأخرى. فقد قامت ثورة ٢٣ يوليو بواسطة جبهة «الضباط الأحرار» وليس من خلال حزب أو تنظيم موحد الفكر وأسلوب العمل. الظروف الداخلية والخارجية التى أحاطت بالتجربة كانت قاسية.. وسط شتات عربى وحرب باردة بين المعسكرين الدوليين.. حيث تركت هذه الحرب بصماتها الساخنة على كل المعارك التى خاضها عبد الناصر.. المراحل التى مرّت فيها هذه التجربة.. وكان لكلّ منها سمة خاصة بها:

١ ـ مرحلة التحرر الوطنى (٥٢-٥٦)التى انتهت بحرب السويس.

٢ ـ مرحلة المد العروبى والتحرر القومى (٥٦ - ٦١): وهى مرحلة الوحدة مع سوريا.. وسياسة عدم الانحياز وثورات الجزائر والعراق ولبنان.

٣ ـ مرحلة الفرز الاجتماعى (٦١ - ٦٧): وهى مرحلة الطرح الاشتراكى الذى بدأ مع قرارات يوليو ١٩٦١ الاشتراكية.

٤ ـ مرحلة التضامن العربى والمواجهة مع إسرائيل: من مؤتمر القمة العربية فى الخرطوم (٦٧) إلى اجتماعات القاهرة لوقف الصراعات الدامية فى الأردن والتى انتهت بوفاة ناصر.. وهى مرحلة النضوج الفكرى والسياسى لتجربة عبد الناصر.. والبناء الداخلى السليم والعلاقات العربية التضامنية.. وأهم مميزات هذه المرحلة:

١- أولوية المعركة مع إسرائيل.

٢- أولوية التضامن العربى.

٣- أولوية البناء الداخلى السليم عسكرياً واقتصادياً وسياسياً.. كما نص على ذلك بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ ـ رفض ناصر الوحدة الاندماجية الفورية مع السودان وليبيا لعدم تكرار أخطاء تجربة الوحدة مع سوريا.. ورفض التورط فى صراعات عربية «تأخذ من المعركة مع إسرائيل ولا تعطيها».. كما قال عبد الناصر. لكن المشكلة بثورة ٢٣ يوليو أنّ ساحة حركتها وأهدافها كانت أكبر من حدود موقعها الجغرافى المصرى.. فقد كانت قضاياها تمتدّ لكلّ الساحة العربية.. وأيضا لمناطق أخرى فى إفريقيا وآسيا. ويمكننا القول أن «٢٣ يوليو» بدأت ثورة مصرية.. ونضجت كثورة عربية.. ثمّ ارتدّت إلى حدودها المصرية بعد وفاة ناصر.. فشعارات ثورة ٢٣ يوليو ـ المبادئ الستّة ـ كانت كلها محلية خاصة بمصر ولم يكن فيها أى شعار عربى أو حتى خاص بالصراع العربى ـ الصهيونى:

١- القضاء على الاستعمار وأعوانه فى مصر.

٢- القضاء على الإقطاع.

٣- القضاء على الاحتكار.

٤- إقامة عدالة اجتماعية.

٥- إقامة جيش وطنى قوى.

٦- إقامة ديمقراطية سليمة.

وكان عبد الناصر قائداً تحررياً على المستويين: الوطنى المصرى والقومى العربى.. ولم يكن صاحب فلسفة خاصة أو مبتدعاً لنظرية فكرية متكاملة.. هو نفسه أكّد ذلك فى «الميثاق الوطنى» عام ١٩٦٢ وفى مناسبات أخرى. فعبد الناصر كان يقف على أرض فكرية محسوم فيها جانب الإيمان الدينى وما فيه من أبعاد فلسفية والجانب القومى وما فيه من تأكيد للهوية العربية. وكانت قضايا الحرية والعدالة والاستقلال والتحرر الوطنى والقومى هى أبرز الأهداف والغايات التى عمل جاهداً من أجلها. وقد ارتبطت هذه الغايات لدى عبد الناصر بثلاث مسائل: ـ الأولى: نبذ العنف كوسيلة للتغيير

الاجتماعى أو السياسى أو للعمل الوحدوى القومى.. الثانية: الاستناد إلى العمق الحضارى الإسلامى والدور الإيجابى للدين والقيم الروحية فى المجتمع.. الثالثة: مفهوم عبد الناصر للدوائر الثلاث التى تنتمى مصر إليها: العربية والإفريقية والإسلامية.. وبحالٍ متوازن من التفاعل والتكامل بين الوطنية والعروبة والانتماء الحضارى الإسلامى. كما تلازمت مع تجربة ناصر سلبيات كان أبرزها دور أجهزة المخابرات داخلياً وخارجياً فى المجال غير الأمنى المحدد لها أصلاً.. حيث حلّت الأجهزة مكان العمل السياسى المنظم والسليم البنية فكرياً وأخلاقياً.. وأثر ذلك أيضاً على تعطيل الممارسة الديمقراطية السليمة رغم وجود البرلمان فى مصر.

إنّ «الناصرية» هى كلمة تحمل الكثير من المعانى. وأحياناً المضامين المتناقضة وسط من يحملونها كتسميةٍ لهم. لكن إذا كانت هناك قناعة الآن لدى العرب بأهمية بناء نهضة عربية شاملة تصون الأوطان ووحدة المجتمعات فى الأمّة. وتُحصّن الوحدة الوطنية فى كلّ بلد عربى وتعمل من أجل بناءٍ ديمقراطى سليم وتنمية اجتماعية واقتصادية.. وتعمل أيضاً من أجل تكامل الوطنيات العربية واتحادها مستقبلا.. فإنّ «الناصرية» فى هذا المنظار تُصبح تجربةً مهمّة فى التاريخ العربى المعاصر.. نستفيد من إيجابياتها وعلينا السعى إلى عدم تكرار سلبياتها. فهذه الأهداف العربية الكبرى بدأت قبل عبد الناصر وستستمرُّ بعده.

مميزات التجربة الناصرية وعيوبها

- ما مميزات الناصرية وما هى عيوبها

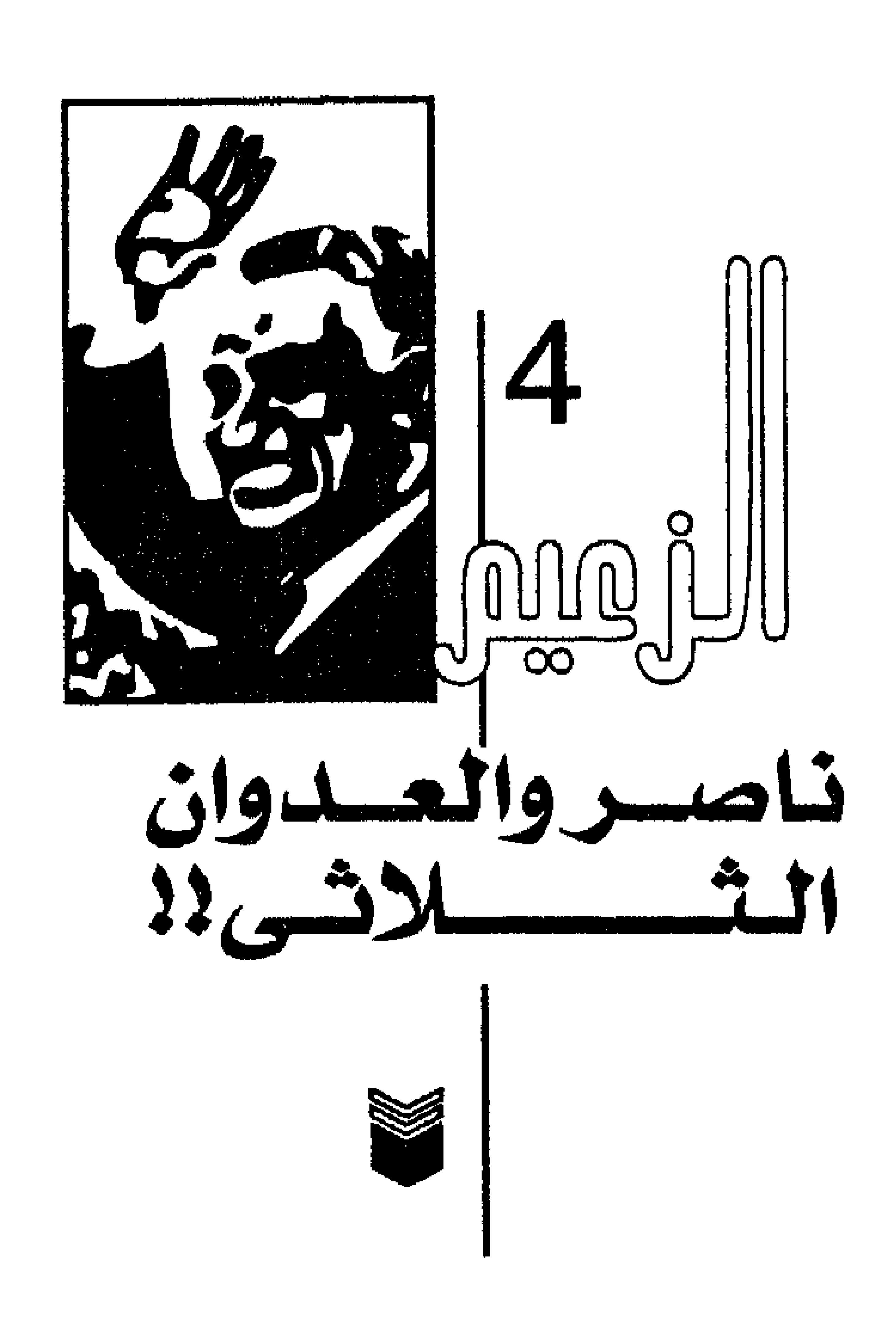
جـ - مميزات الناصرية: بالنسبة للصناعة.. شهدت مصر فى الفترة من مطلع الستينيات إلى ما قبل النكسة نهضة اقتصادية وصناعية كبيرة.. بعد أن بدأت الدولة اتجاها جديدا نحو السيطرة على مصادر الإنتاج ووسائله.. من خلال التوسع فى تأميم البنوك والشركات والمصانع الكبرى.. وإنشاء عدد من المشروعات الصناعية الضخمة.. وقد اهتم عبد الناصر بإنشاء المدارس والمستشفيات.. وتوفير فرص العمل لأبناء

الشعب.. وتوَّج ذلك كله ببناء السد العالى الذى يُعد أهم وأعظم إنجازاته على الإطلاق.. حيث حمى مصر من أخطار الفيضانات.. كما أدى إلى زيادة الرقعة الزراعية بنحو مليون فدان.. بالإضافة إلى ما تميز به باعتباره المصدر الأول لتوليد الكهرباء فى مصر.. وهو ما يوفر الطاقة اللازمة للمصانع والمشروعات الصناعية الكبرى.

بالنسبة للمجتمع العلمانى: قام عبد الناصر بإلغاء الأوقاف الإسلامية والمحاكم الشرعية وأضعف كيان الأزهر.. والغى مفهوم العنصريه الدينية.

عيوبها: المدقق بحيادية فى تاريخ التجربة الناصرية سيرى أن كل أخطاء التجربة الناصرية كانت بسبب الخلافات مع الامبرطوريات الغربية وهذه حقيقة ليس بها مجال للشك.. أما الخطأ الأكبر فيتمثل بلا شك فى نزع فتيل الثقة فى كل رجال الحقبة الناصرية.. واختزالها فقط فى شخصه هو.

■ ■ ■



4

ناصر والعدوان الثلاثى!!



عندما أعلن جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس.. شعرت فرنسا وبريطانيا أن عليهما فعل شيء ما.. فكان الغزو الإسرائيلى الفرنسى البريطانى.. ولكن بدون أمريكا التى أرادت دورًا أكبر للأمم المتحدة لتدين مصر أولاً. ويعتبر بعض المؤرخين أن تأميم القناة كان خطأ استراتيجيًا دفعت مصر ثمنه باهظاً لأنه كان سينتهى عقد الدول التى تشغل القناة لحسابها لمدة ٩٩ سنة بعد قرار تأميم جمال عبد الناصر بـ ١٢ سنة فقط كما حدث مع هونج كونج الجزيرة التى كانت بريطانيا تستخدمها لمدة ٩٩ سنة.. وذلك حسب المواثيق الدولية.

بدأ هجوم إنجلترا وفرنسا وإسرائيل فى ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٦ م.. فانه قد سبقته ولحقته معارك سياسـية بدأت مباشرة بعد اعلان قرار تأميم قناة السويس يوم٢٦ يوليو١٩٥٦ واستمرت حتى جلاء القوات المعتدية فى ٢٢ من ديسمبر ١٩٥٦ م. وبهذا استغرقت هذه الحرب ١٥٠ يوما كاملة.

وحول الحرب نفسها كانت هناك خطتان موضوعتان عن مكان انزال قوات الغزو..

الأولى الإسكندرية.. وكان هناك رأيان هما: احتلال مصر عن طريق الإسكندرية لإسقاط الحكم الثورى القائم بها والعملية بالتالى عبارة عن غزو بحرى للاسكندرية تتلوه معركة على الاتجاه الاستراتيجى الاسكندرية - القاهرة يتم فيها تدمير القوات المصرية.. وبعد ذلك تحتل قوات الغزو القاهرة.. وأخيرًا تغلب الرأى القائل بأن الاسكندرية هى أنسب مكان لإنزال قوات الغزو.

والثانية بورسعيد .. أو احتلال منطقة قناة السويس فقط ثم تطوير الغزو بعد ذلك ويشمل القاهرة إذا ساعدت الظروف.

فى صباح ٢٧ يوليو١٩٥٦ م . بدأت حرب السويس أى فى اليوم التالى مباشرة لإعلان الرئيس جمال عبد الناصر لتأميم قناة السويس . وذلك عندما جمع سير أنتونى ايدن . رئيس بريطانيا وقتها . رؤساء أركان حرب المملكة المتحدة وطلب منهم: إعداد خطة لعمل عسكرى يستهدف انتزاع القناة من مصر.. واسترداد الهيبة البريطانية الضائعة فى الشرق الأوسط..

وعلى هذا الأساس وضع رؤساء أركان حرب الإمبراطورية خطة الغزو باسم العملية٧٠٠ وهى تدخل فى نطاق الحروب المحلية المحددة.

وفى أغسطس عرضت هذه الخطط على سير أيدن فرفض الخطة الأولى التى تقضى احتلال الإسكندرية إذ انها تقتضى احتلال مصر كلها الأمر الذى سيستغرق وقتا طويلا .. بينما كان سير ايدن يرغب فى توجيه ضربة حاسمة سريعة.. وفى هذا الوقت عرضت فرنسا مساهمتها الكاملة وأبلغت بريطانيا أنها على استعداد لتقديم قوات بنسبة ٣ : ٥ وقبل إيدن اشتراك الفرنسيين بأمل تحقيق عاملى: الحسم والسرعة.

وفى هذه المرحلة عرضت فرنسا على بريطانيا فكرة إشراك إسرائيل فى الغزو.. وكان السبب فى حماسة فرنسا لهذا هو العداء العربى لسياستها الاستعمارية فى شمال افريقيا وبزوغ المقاومة الجزائرية ومن ثم فقد بدأت فرنسا تلقى بالتبعة على مبادئ القومية العربية وتعتقد أن القاهرة هى الموجهة والمثيرة للعداء العربى وحاملة راية التحرر والحرية ولذلك كله تلقفت إسرائيل الفرصة وأخذت تقترب من فرنسا وتبارك المشاعر الخبيثة التى تولدت فى فرنسا وتؤكد أنها ركيزتها وسندها الأول فى الشرق الأوسط.

وعندما عرضت فرنسا على بريطانيا إشراك إسرائيل رفض سير ايدن حرصا على المصالح البريطانية الكثيرة فى العالم العربى.

وقدم البريطانيون إلى الفرنسيين خطة العملية٧٠٠ فوافق عليها الفرنسيون..

واتفقت الدول الثلاث على أن يتولى الجنرال تشارلس كيتلى (الانجليزى) القيادة العامة للحملة بينما يتولى الأدميرال الفرنسى بارجو منصب نائب القائد العام.. وبالمثل اتفق على أن تكون القيادة للبريطانيين والنيابة للفرنسيين فى كل فرع من أفرع العمليات والخدمات والقوات..

وتقرر ان تنتهى الاستعدادات ويبدأ الهجوم فى منتصف سبتمبر وسميت الخطة باسم هاميلكار.. وأخذت القوات البريطانية والفرنسية تتجمع فى قاعدتى الغزو فى: مالطة وقبرص كما أمرت القوات بأن تضع

حرف: H حتى يتعرفون على بعضهما البعض فى الحرب وهو الحرف الأول من اسم هاميلكار فوق خوذها وعلى اسطح عرياتها وطائراتها.. وقبل أن يجف الطلاء صدرت الأوامر بتغيير الخطة هاميلكار إلى الخطة موسكتير.

الخطة موسكتير

لقد بنيت الخطة موسكتير على نفس أسس الخطة هاميلكار من ناحية التصميم على أن تكون الاسكندرية هى مكان الغزو وأيضا على أن يكون ميعاد الغزو يوم ١٥ سبتمبر إلا أن خطة موسكتير فاقت فى تفصيلاتها خطة هاميلكار مع ضرورة توفير السيطرة الجوية بمهاجمة المطارات المصرية أولا وقبل أن يبدأ الغزو بيومين ثم على ضرب ميناء الاسكندرية بالاسطولين الانجليزى والفرنسى فى يوم الغزو وانزال قوة مظلات يتلوها انزال القوات البرية المشتركة.. وكان الهدف الرئيسى أيضا وهو احتلال القاهرة بعد تدمير القوات المصرية وبالتالى إسقاط نظام حكم جمال عبد الناصر.

وفى١٥ أغسطس أقرت الحكومتان الخطة وبدأتا فى إرسال القوات.. ولكن دب الخلاف بين البريطانيين والفرنسيين حيث أراد الفرنسيون القيام بهجوم شامل مفاجئ بينما رغب البريطانيون فى أن يكون الأسلوب هو الأسلوب التقليدى البطئ!

متى اشتركت إسرائيل؟

ولكن كان فرنسا عندها خطة حربية جديدة عن فكرة خطة موسكتير وهى إشراك إسرائيل فى الحرب فيسهل استدراج الجيش المصرى إلى سيناء الأمر الذى يخلق

فراغًا فى منطقة طرفى القناة وبذلك يمكن للقوات الانجلو ـ فرنسية سرعة احتلال القناة وحصار القوات المصرية بين المطرقة والسندان.. وفى نفس الوقت يخلق اشتراك إسرائيل سبباً لتدخل الدولتان اللتان ستظهران كأنهما ترغبان فى تأمين منطقة القناة والفصل بين المتحاربين!

فوافقت بريطانيا على إشراك إسرائيل.. وذلك فى المؤتمر الذى عقد بلندن يومى ١٠ و ١١ سبتمبر وألغت الخطة موسكتير وأعدوا خطة موسكتير المعدلة حيث مكان الغزو بورسعيد وليس الاسكندرية يتلوه زحف مشترك نحو الاسماعيلية ومن ثم تتجه القوات البريطانية إلى أبو صير بينما تتجه القوات الفرنسية إلى السويس. وبعد ذلك يوجه الطرفان ضربة واحدة قوية إلى القاهرة.. وكان على إسرائيل أن تقوم بإستدراج القوات المصرية إلى سيناء ثم تدميرها هناك بمعاونة القوات الجوية الانجليزية والفرنسية.

وفى ١٨ سبتمبر استلم الخطة بن جوريون فى تل أبيب وانتهز الفرصة وسرعان ما طالب بتدعيم حربى ليواجه بها الجيش المصرى.

و فى ٢٠ سبتمبر تمت الموافقة على ذلك واصبحت الخطة تعرف باسم الخطة موسكتير المعدلة النهائية.

وفى ٢٢ أكتوبر طار بن جوريون لباريس حيث أخذ يطالب بضمان على شكل معاهدة يوقعها الأطراف الثلاثة.

وفى يوم ٢٤ أكتوبر - بعيدا عن العيون - بعد رحلة سريعة عبر الطرق والشوارع المهجورة مضى رفقاء الحرب إلى سيفر احدى ضواحى باريس يناقشون الخطوط النهائية فى الخطة موسكتير المعدلة النهائية. ثم وقعوا المعاهدة وتحمل ذات الاسم.. وهذا هو نص المعاهدة بالحرف:

بروتوكول سيفر ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٥٦

- تقوم القوات الإسرائيلية بخلق حالة صراع مسلح على مشارف قناة السويس لتستغلها بريطانيا وفرنسا كذريعة للتدخل العسكرى ضد مصر.

ـ توفر القوات الجوية الفرنسية الحماية الجوية لإسرائيل كما توفر القوات البحرية الفرنسية الحماية البحرية للمياه الاقليمية الإسرائيلية.

ـ تصدر بريطانيا وفرنسا إنذارا مشتركا لكل من مصر وإسرائيل لوقف أعمال القتال والابتعاد عن القناة مع قبول مصر احتلال منطقة القناة احتلالا مؤقتا بواسطة القوات الانجلو فرنسية لحماية الملاحة البحرية فيها.

ـ تقوم القوات الجوية البريطانية بتدمير المطارات والطائرات والأهداف العسكرية المصرية وتحقق السيطرة الجوية فى سماء مصر.

ـ تدافع فرنسا عن موقف إسرائيل فى الأمم المتحدة وفى الوقت نفسه تبذل بريطانيا جهودها بصفة سرية بالاتصالات الخاصة لمساندة إسرائيل دون ان تكشف علانية عن ذلك حتى لا يضار مركزها فى الوطن العربى.

ووقع الاتفاق كل من:

باتريك دين المستشار القانونى للحكومة البريطانية وكريستيانبينو وزير خارجية فرنسا ودافيد بن جوريون رئيس الوزراء ووزير دفاع إسرائيل.. واتفق على ان يحتفظ كل طرف بنسخته ولا يظهرها أبدا..!!

وقد حصل بن جوريون على الاتفاق بسرور بالغ وعاد فى اليوم نفسه إلى إسرائيل لتبدأ خطوات العمل التنفيذية ففى اليوم التالى مباشرة ويقول موشى ديان فى كتابه (يوميات معركة سيناء):

.. وبعد المباحثات الداخلية الكثيرة وبعد الاتصالات والتفسيرات مع العناصر الخارجية التى بدأت منذ نحو شهرين يمكن تلخيص الوضع كالتالى: ـ

١- أقر بن جوريون رئيس الحكومة ووزير الدفاع مبدئيا خطة المعركة وأهدافها.

٢- ستبدأ قواتنا عملها يوم الاثنين ٢٩/ ١٠/ ١٩٥٦ مع الظلام وعلينا أن ننهى احتلال شبه جزيرة سيناء بسرعة ليتم الاحتلال خلال٧ ـ ١٠ أيام.

٣- القرار على المعركة وكذلك تخطيطها يعتمدان على فرض أنه من المنتظر أن تعمل قوات بريطانية وفرنسية ضد مصر. لأننا لا نستطيع العمل بمفردنا أكثر من أسبوع واحد.

٤- ومن المعلومات الموجودة لدينا فإنه من المنتظر أن تقوم القوات البريطانية الفرنسية بعمليتها يوم ٣١/ ١٠/ ١٩٥٦ وهدفها السيطرة على منطقة قناة السويس ولهذا يجب عليها النزول من البحر أو إسقاط قوات من الجو وسيعملون هذا بالطبع تحت تغطية جوية مناسبة.

الخطـــة قادش

وفى نفس هذا اليوم ٢٥/ ١٠ وضع موشى ديان بصفته رئيسا لهيئة الأركان العامة الرتوش النهائية لخطة قادش. الخاصة بدور إسرائيل. ثم وقعها وأرسلها إلى القادة وأبرزهم: دان تلكوفسكى قائد القوات الجوية و صمويل تانكوس قائد القوات البحرية واساف سمحونى قائد القوات البرية والى رئيس شعبة العمليات.. وهذا الأخير ننقل. طبقا للوثائق الإسرائيلية. نص ما أرسل إليه:

للمرسل إليه فقط

الى رئيس شعبة العمليات

الموضوع: توجيهات عمليات الغرض:

(أ) خلق تهديد عسكرى على القناة باحتلال أغراض مجاورة لها.

(ب) احتلال مضيق إيلات (أى خليج العقبة).

(ج) احداث ارتباك فى تشكيل قتال القوات المصرية.

الطـــريقة:

(د) عـــام:

يوم ع (أى يوم بداية العمليات): يوم الاثنين٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦.

ساعة الهجوم: الساعة ١٧٠٠.

(هـ) المراحل:

١- المرحلة الأولى(٣) ليلة ع(٢٩/ ١٠ ـ ٣٠/ ١٠).

وكانت هذه هى المهمة المباشرة للمنطقة الجنوبية:

(أ) احتلال تقاطع الطرق عند صدر الحيطان باستخدام قوات ابرار جوى.

(ب) احتلال نخل.

(ج) احتلال الكونتلا ورأس النعيت.

(د) تأمين مدخل القصيمة ـ نخل.

(هـ) تأمين محور الكونتلا ـ نخل.

(و) تأمين محور رأس النقب ـ نخل.

(ز) تستعد القيادات الأخرى(خلال قيادة المنطقة الجنوبية للدفاع أول ضوء يوم٣٠أكتوبر).

(ح) يستعد سلاح الطيران والسلاح البحرى استعدادا تاما ابتداء من ساعة الهجوم لتنفيذ ما يكلفان به من مهام بالاسبقيات التالية:

ـ الدفاع عن سماء البلاد.

ـ مساندة القوات البرية.

ـ مهاجمة المطارات المصرية.

٢- المرحلة الثانية(ب): فى ليلة ع+١(٣٠/ ١٠ ـ ٣١/ ١٠)

(أ) التقدم فى محور رأس النقب ـ شرم الشيخ.

(ب) الاستعداد لصد الهجوم المضاد من القطاع الأردنى.

(ج) الاستيلاء على القصيمة.

(د) الاستعداد للدفاع عن الحدود الإسرائيلية المتاخمة لسوريا ولبنان.

٣- المرحلة الثالثة(ج) ليلة٤+٢ (٣١/ ١٠ ـ ١/ ١١) والأيام التالية:

(أ) احتلال مضايق إيلات.

(ب) احتلال رفح وأبو عجيلة والعريش.

(ج) تأمين طريق الاقتراب من صدر الحيطان ـ الطور ـ وفتح محور إلى شرم الشيخ.

(د) فتح محور أبو زنيمة إلى دهب.

(هـ) التقدم إلى صوب القناة والتشبث بخط يبعد عنها بما لا يقل عن١٥ كيلو مترا.

رالف الوف (لواء)

موشى ديان

رئيس هيئة الأركان العامة

ثم تتوالى الأحداث بعرض بن جوريون الخطة على حكومته يوم ٢٨/ ١٠/ ١٩٥٦ ويذيع بيانا مخادعا يقول فيه: إن التعبئة جرت عقب النشاط المعادى العربى فلا نقف أمام هجوم مفاجئ بدون دفاع كافٍ ويطرد ديان مراقبى الأمم المتحدة من بير سبع والعوجة.. يقول كان خيرا لنا أن يتقدموا بشكوى ضدنا للأمم المتحدة من أن يشاهدوا تحركاتنا ويبلغوا عنها..

الهجوم الرئيسى

هكذا كان دور إسرائيل ثانويًا.. أما المجهود الرئيسى للحرب فقد كان يقع على عاتق القوات الانجليزية والفرنسية وكان هدفه شن غزو بحرى يجرى على امتداد الخط التعبوى ـ الاستراتيجى ـ لقناة السويس وفيما يلى نص أمر عمليات الغزو البحرى الانجلو فرنسى:

المهـــام:

بعد تمهيد جوى مركز ابتدائى لمدة ستة أيام وتمهيد مباشر بالطيران وبمدفعية الأسطول من س.٣ تقوم قوات الغزو المشتركة أول ضوء يوم٩ باقتحام منطقة بورسعيد والاستيلاء على رأس الشاطئ بها بمواجهة١٠ كيلو مترات وعمق٤٠ كيلو مترا كمهمة مباشرة لها على أن تتم يوم١١ وتطور الهجوم وتستولى على منطقة الإسماعيلية يوم١٢ كمهمة أساسية لها طبقا للخطة(أ) أن تكون مستعدة لاستغلال النجاح لحسم الحرب بالاندفاع صوب السويس والقاهرة للاستيلاء عليهما و تحقيق المهام الأساسية طبقا للخطة(ب).

التشكيل التعبوى لعملية الغزو البحرى ومهام القوات:

أ . نسق أول قوات للغزو البحرى:

١ . قوة الاقتحام الجوى:

القائد: بريجادير بتلر قائد مجموعة اللواء١٦ مظلات.

القوات: مجموعة اللواء١٦ مظلات عدا كتيبتين وآلاى مظلات من الفرقة١٠ مظلات.

المهام: اقتحام منطقة بورسعيد جوًا مع أول ضوء يوم ٩ . وتأمين مخارجها والاستيلاء على الأهداف الحيوية بها.

٢ . قوة الاقتحام البرمائى:

القائد: السير أدميرال هولاندمارتن.

القوات: مجموعة اللواء٣ الفدائيين البحريين رئاسة الفرقة١٠ مظلات.

كتيبة مظلات من الفرقة١٠ مظلات . أورطة دبابات خفيفة . ثلاث كتائب فدائيين بحريين.

المهام: الاستيلاء على رأس الشاطئ وتأمينه كمهمة مباشرة يوم ١١ بمواجهة١٠ كيلو مترات وعمق٤٠ كيلو مترا وتطوير الهجوم والاستيلاء على منطقة الاسماعيلية كمهمة أساسية يوم١٢ طبقا للخطة (أ).

(ب) نسق ثان قوات الغزو البحرى:

ـ القوات اللاحقة:

ـ القائد جنرال هيوستوكويل

القوات: الفرقة٣ مشاة. مجموعة اللواء٥١ المشاة المستقل مجموعة اللواء٥٠ المشاة المستقل كتـ يبتان من مجموعة اللواء١٦ المظلات الآلاى٦ المدرع آلاى سـ يارات مدرعة كتيبة مظلات من الفرقة الأجنبية الفرنسية الآلاى الخفيف.

المهام: استغلال نجاح قوة الاقتحام البرمائى وتطوير الهجوم نحو القاهرة و السويس معا للاستيلاء عليهما وحسم الحرب.

(ج) الاحتياطى العام:

القوات: الكتيبة الأولى رويال وست كنت .٢ آلاى مظلات فرنسية.

ومن هذه الخطة العسكرية تتضح الأهداف السـ ياسـ ية والتى يمكن إجمالها فى الآتى:.

١ ـ الاستيلاء على قناة السويس

٢ ـ إبادة القوات المسلحة المصرية ومعداتها.

٣ ـ القضاء على الحكم الثورى فى مصر والسيطرة على العرب.

على هذا النحو إذن كان دور الغزاة.. وكانت أهدافهم من القتال فإذا نظرنا إلى المجهود المصرى فإننا نجد أن القتال دار خلال٤ مراحل استراتيجية.

ـ المرحلة الأولى

مرحلة حصر العدوان الإسرائيلى المدعم بالجهود الجوى و البحرى الانجلو فرنسى وقد استغرقت هذه المرحلة٤٧ ساعة بدأت فى الخامسة مساء يوم ٢٩/ ١٠ وانتهت فى الرابعة مساء يوم ٣١/ ١٠ وفيها نجحت القوات المصرية فى حصر العدوان و تثبيـ ته واستعدت لتدمير قواته نهائيا تمهيدا لنقل المعركة إلى قلب إسرائيل ذاتها.

المرحلة الثانية

مرحلة النضال من أجل تحقيق التوازن الاستراتيجى فى مسرح العمليات. وقد استغرقت٨٦ ساعة بدأت فى الساعة الرابعة مساء يوم ٣١/ ١٠ عندما تكشفت نوايا العدوان وانتهت فى السادسة صباح يوم ٤/ ١١ وخلالها صدر قرار توحيد الجبهة المصرية غرب السويس فى الوقت المناسب لتحقيق الاتزان الاستراتيجى وتركيز قوى النضال فى مثلث(بورسعيد - السويس - القاهرة).

المرحلة الثالثة

مرحلة الصراع فى اتجاه المجهود الرئيسى وقد استغرقت ٦٨ ساعة من السادسة صباح يوم ٤/ ١١ حتى الثانية صباح يوم ٧/ ١١ وكان الصراع المسلح فيها بين القوات البريطانية والفرنسية من جهة وبين القوات المسلحة المصرية.. وقوى النضال الشعبى من جهة أخرى.. وكان القتال دفاعا عن العقيدة والأرض تحت شعار الحرب من بيت إلى بيت.

المرحلة الرابعة

مرحلة فشل العدوان الثلاثى وقد استغرقت١٢٠ يوما بين ٧ نوفمبر سنة١٩٥٦ - وقف اطلاق النار - وبين٦ مارس١٩٥٧ نهاية الانسحاب.. و تميزت هذه المرحلة بصمود الإرادة الممثلة فى الجندى المصرى و تحفزه متأهبا لأى طارئ.

هذه هى مراحل القتال من وجهة النظر الاستراتيجية المصرية.. وهى - هنا - مقدمة نبدأ بعدها فى يوميات القتال - الذى استمر٢٠١ ساعة - والمهم كيف جرى.

اختارت القيادة الإسرائيلية منطقة صدر الحيطان بسيناء لتبدأ فيها أولى عملياتها تنفيذا لدورها فى اتفاق سيفر.. ولقد أثير فى هيئة الأركان الإسرائيلية أن صدر الحيطان بعيدة عن القواعد الإسرائيلية.. وهى فى ذات الوقت قريبة من القواعد المصرية (نحو٦٥ كيلومترا من القناة) كما أنها تحت أنف مطار كبريت المصرى

(نحو٧٠ كيلو مترا) لكن ديان رد بأن المهمة هى: جذب الجيش المصرى إلى أعماق سيناء و ترك قلب الدولة المصرى خاليا من القوات وفى ذات الوقت: خلق صراع مسلح على مشارف القناة.. كذلك فإن الهجوم سيكون تحت حماية مظلة جوية فرنسية علما بأن منطقة صدر الحيطان خالية من القوات المصرية.

وعلى هذا الأساس انطلقت فى الساعة الخامسة من بعد ظهر هذا اليوم (٢٩/ ١١) أو بالضبط قبل تمام الخامسة بدقيقة واحدة ١٦ طائرة داكوتا منتظمة فى٤ تشكيلات كل منها يحمل سرية من جنود المظلات واتجهت إلى الهدف الا أن الطيارين - طبقا لـ يوميات ديان - اخطأوا وأسقطوا الجنود بالمظلات شرق المكان المحدد بخمسة كيلو مترات.

على أى حال لقد هبطت القوة وهى تضم٣٩٥ فردا بأمتعتهم وأسلحتهم ومعداتهم وهؤلاء يشكلون الكتيبة٨٩٠ مظلات ثم سار الجنود على أقدامهم مسافة الخمسة كيلومترات التى أخطأوها فوصلوا مكانهم المحدد فى الساعة السابعة و النصف مساء.. و فى الساعة التاسعة مساء أسقطت لهم الطائرات كمية من الامدادات وذلك قبل أن تأتى الطائرات الفرنسية المتعاونة وهى من نوع نورد أطلس لتلقى فى الواحدة بعد منتصف الليل امدادات جاءت بها من قاعدة قبرص وهى عبارة عن ٨ عربات جيب و٤ مدافع عديمة الارتداد ١٠٦ مم ومدفعين هاون١٢٠ مم وصناديق الذخيرة اللازمة.

هذا وقد صدرت الأوامر لهذه الكتيبة بالتحصين فى موقعها بمنطقة صدر الحيطان دون أن تتقدم او تتحرك حتى لا تتورط فى قتال مع القوات المصرية و فى العاشرة من مساء ذات اليوم - ٢٩ أكتوبر - تحرك اللواء ٢٠٢ مظلات الإسرائيلى عبر الحدود المصرية عند الكونتيلا بهدف مساندة كتيبة المظلات التى اسقطت فى صدر الحيطان.

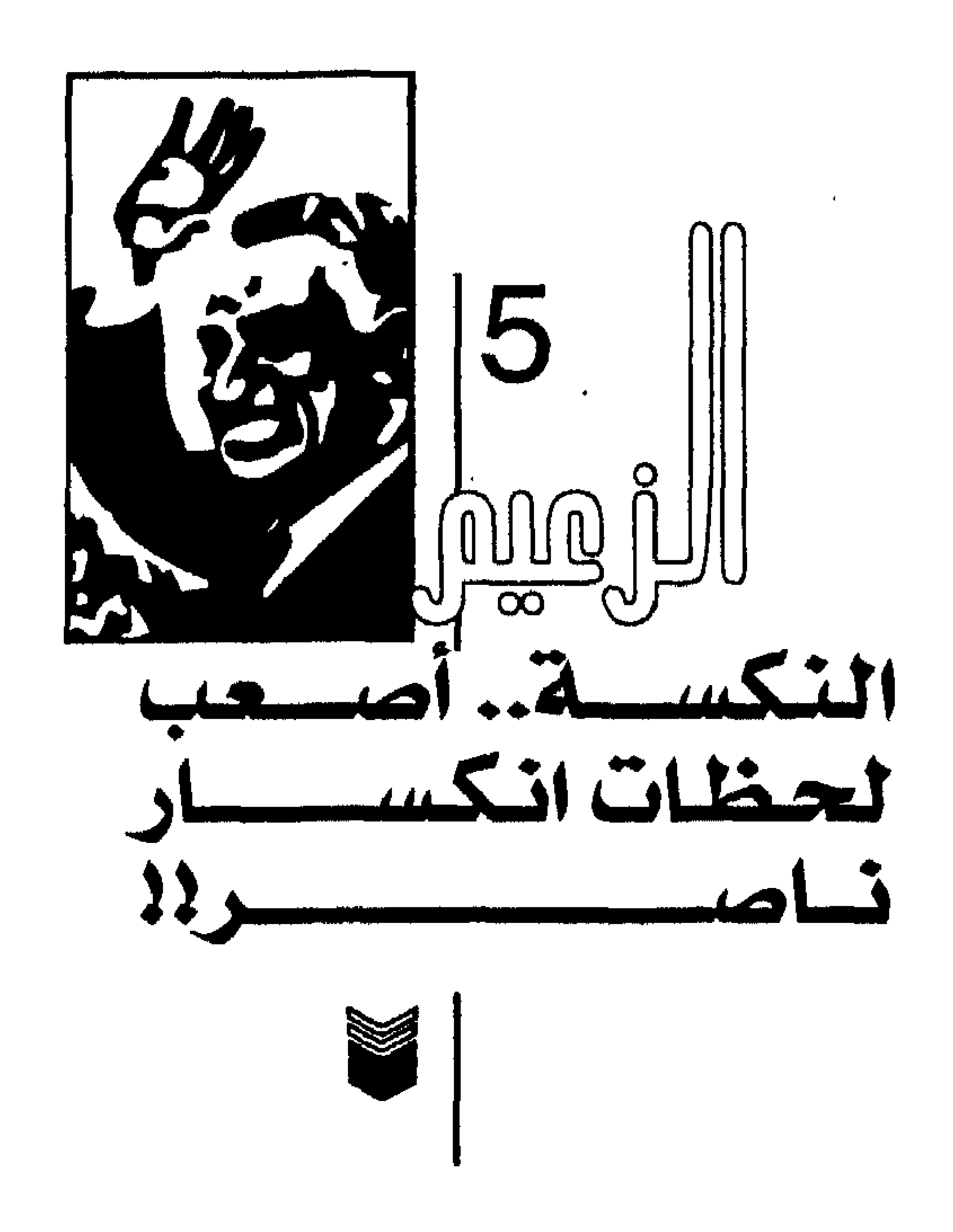
خلال هذا الوقت وعندما أيقنت قيادة المنطقة الشرقية المصرية من بدء العدو عملياته الغادرة أصدرت أوامرها بالسيطرة على ممر متلا وسرعة القضاء على القوة المعادية المسقطة مع تعطيل تقدم القوات البرية المعادية التى تنضم إلى القوة المسقطة وقد كلف بالمهمة الأولى اللواء الثانى المشاة كتيبة مشاة أما المهمة الثانية فقد كلف بها

الآلاى الثانى حدود كما أمرت قيادة المنطقة الشرقية المصرية: قوتها الاحتياطية بالاستعداد لعبور قناة السويس والتحرك غربا بهدف القضاء على قوات العدو الإسرائيلى.

وفى الساعة الحادية عشرة بدأت وحدات اللواء الثانى المشاة المصرى فى عبور القناة متجهة إلى صدر الحيطان عبر ممر متلا.. وقد استغرقت عملية العبور وقتا طويلا اذ لم تنته الا فى الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم التاليم ٣٠/ ١٠ وكان السبب فى ذلك أنه رأى عدم تعطيل الملاحة فى القناة والعبور فى الفواصل التى تتخلل عبور قوافل السفن مستخدمة فى ذلك المعدية.. وقد استطاعت العناصر المتقدمة من اللواء المصرى أن تصل إلى المدخل الشرقى لمر متلا فى نحو الساعة الثامنة صباحا.

وانتهت حرب العدوان الثلاثى بهزيمة إسرائيل ومن وراءها.. وزيادة ثقة ناصر ومصر.

■ ■ ■



النكسة.. أصعب لحظات انكسار ناصر!!



حرب ١٩٦٧ أو حرب الأيام الستة هى حرب حدثت عام ١٩٦٧ بين إسرائيل وكل من مصر وسوريا والأردن وبمساعدة لوجستية من لبنان والعراق والجزائر والسعودية والكويت انتهت بانتصار إسرائيل واستيلائها على قطاع غزة والضفة الغربية وسيناء وهضبة الجولان وتعد حرب ١٩٦٧ الحرب الثالثة ضمن سلسلة الحروب خاضتها إسرائيل عدة دول عربية فيما سمى بالصراع العربى - الإسرائيلى وقد انتهت باستيلاء إسرائيل على كامل منطقة فلسطين هذه المنطقة الجغرافية التى كانت السلطة القائمة عليها ما بين عام ١٩٢٣ وحتى عام ١٩٤٨ تدعى حكومة فلسطين تحت الانتداب البريطانى وتدعو الأرض القائمة عليها فلسطين. ومعظم أهلها من العرب المسلمين والمسيحيين بالإضافة إلى أقلية من اليهود. وكان نفوذ هذه السلطة يمتد على جميع الأراضى التى يدعوها اليهود اليوم إسرائيل ويعرفها غالبية الشعوب العربية بفلسطين ويطلقون عليها اسم فلسطين المحتلة. وهذه الأرض كانت جزءا من بلاد الشام لأكثر من أربعة عشر قرنا تسمى هذه الحرب (بالإنجليزية: Six Days War) وتترجمها المصادر الإسرائيلية وبعض المصادر العربية غير الرسمية والأجنبية الناطقة بالعربية كـ (حرب الأيام الستة) بالعربية.. بينما تشيع تسميتها الشعبية بالعربية كـ (النكسة).

اندلعت الحرب فى ٥ يونيو ١٩٦٧ بهجوم إسرائيلى على قواعد سلاح الجو المصرى فى سيناء. كان هذا الهجوم النقطة الفاصلة بين فترة ثلاثة أسابيع من التوتر المتزايد والحرب الشاملة بين إسرائيل وكل من مصر.. والأردن.. وسوريا فى غضون الحرب قامت قوات عراقية - كانت مرابطة فى الأردن - بمساندة قوات البلاد العربية.

مقدمات الحرب

بدأت حالة التوتر تدريجيا منذ نهاية ١٩٦٦ ولكنها بلغت مرحلتها الخطيرة فى ١٥ مايو ١٩٦٧ عندما جاوزت قوات برية كبيرة من الجيش المصرى قناة السويس ورابطت فى شبه جزيرة سيناء. غيرت هذه الخطوة الحالة القائمة بين مصر وإسرائيل لأول مرة منذ أزمة السويس (١٩٥٦) ودفع ذلك الحكومة الإسرائيلية إلى إعلان حالة تأهب فى صفوف الجيش الإسرائيلى.

فى ١٦ مايو طالب الرئيس المصرى إخلاء قوات الأمم المتحدة UNEF من سيناء وقطاع غزة. كانت هذه القوات الدولية تراقب وقف إطلاق النار بين إسرائيل ومصر منذ ١٩٥٧ بعد مفاوضات فاشلة استمرت يومين مع كل من حكومتى مصر وإسرائيل.. حيث أصرت مصر على إخلاء القوات الدولية ورفضت إسرائيل مرابطتها على الجانب الإسرائيلى من خط الهدنة.. غادرت قوات الأمم المتحدة المنطقة فى ١٨ مايو ١٩٦٧.

فى ٢٢ مايو أعلنت مصر إغلاق مضيق تـيران أمام السفن الإسرائيلية.. الأمر الذى اعتبرته إسرائيل سببا للحرب.

فى ٣٠ مايو وقع الرئيس المصرى والعاهل الأردنى على اتفاقة تحالف عسكرى الذى أنهى النزاع بين الدولتين.

فى ٥ يونيو شن الجيش الإسرائيلى هجوما على القوات المصرية فى سيناء بينما بعث رئيس الوزراء الإسرائيلى برسالة للعاهل الأردنى عبر وسيط أمريكى قائلاً: إن إسرائيل لن تهاجم الأردن إذا بقى الجيش الأردنى خارج الحرب.

جذور الحرب ـ ما بين أزمة السويس ويونيو ١٩٦٧

انتهت أزمة السويس بانسحاب إسرائيلى من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة فى ٨ مارس..آذار ١٩٥٧ كما اتفقت إسرائيل ومصر على دخول قوات دولية تابعة للأمم المتحدة (UNEF) إلى المناطق التى انسحبت منها إسرائيل لحماية وقف إطلاق النار.

بعد الانسحاب أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلى أن إسرائيل ستعتبر إعادة إغلاق الممر المائى فى تيران أمام سفن إسرائيلية سبباً للحرب.

بين مارس ١٩٥٧ وأبريل ١٩٦٧ كانت الحدود بين إسرائيل ومصر هادئة نسبياً.. بينما تكثفت الاشتباكات بين إسرائيل وسوريا فى ١٩٦٤ بشأن النزاع على استغلال مياه نهر الأردن.

فى نوفمبر ١٩٦٦ انتهى التفاهم بين الحكومتين الإسرائيلية والأردنية بشأن تهدئة الحدود الطويلة بين البلدين حيث قُتل ٣ جنود إسرائيليين بانفجار لغم على خط الهدنة قرب قرية السموع بجنوبى الضفة الغربية فى لواء الخليل الذى كان تابعا للمملكة الأردنية الهاشمية.. فشنّ الجيش الإسرائيلى هجوماً متذرعين بهذه الحجة على قرية السموع الحدودية وهدم بيوت كثيرة فيها وادعت إسرائيل آنذاك أن ٥٠ أردنياً وإسرائيلياً واحداً قُتلوا فى تلك المعركة. وحسب تقارير الأمم المتحدة فإن خسائر الجيش الأردنى لم تزد على ١٦. وقد أعلن الإسرائيليون فيما بعد أن قائد الحملة الإسرائيلية فى هذه المعركة قتل فيها أثناء القتال. وكان قد ورد فى قرارات الأمم المتحدة عند إعلان وقف إطلاق النار عام ١٩٤٨ فى أحد شروطها أن تخلو الضفة الغربية من الأسلحة الثقيلة كالدبابات والمدفعية الثقيلة. إلا أن استخدام الإسرائيليين لهذه الأسلحة فى هذه المعركة.. حَرّض سكان الضفة على المطالبة بإدخال الأسلحة الثقيلة.. مما حدا بالملك حسين بإقرار دخولها ٢٠ نوفمبر ١٩٦٦ تحسبا لأى هجوم آخر بنفس المستوى.

وفى ٧ أبريل ١٩٦٧ حدثت معركة جوية بين طائرات حربية سورية وإسرائيلية حيث أسقطت إسرائيل ٦ طائرات سورية من طراز ميج ٢١. فى ١٣ مايو أبلغت المخابرات السوفيتية نائب الرئيس المصرى أنور السادات أن إسرائيل تركز قوات ضخمة فى شمالها. عندما علم رئيس الوزراء الإسرائيلى ليفى إشكول بهذا الإبلاغ دعا السفير السوفيتى لدى إسرائيل إلى زيارة شمالى البلاد ليقتنع بأنه لم يحدث أى تغيير فى انتشار القوات الإسرائيلية. أما السفير السوفيتى فرفض الدعوة.

فى ١٥ مايو بدأت مصر بتكثيف قواتها فى سيناء وفى اليوم التالى طالبت مصر القوات الدولية بالخروج من أراضيها.

فى ٢٢ مايو أعلنت مصر إغلاق مضيق تيران أمام السفن الإسرائيلية المتجهة إلى ميناء إيلات. اعتبرت إسرائيل هذه الخطوة إعلان حرب نسبة إلى تصريح رئيس وزرائها بعد أزمة السويس وتكثيف القوات المصرية فى سيناء.

فى ٥ يونيو ١٩٦٧ شن سلاح الجو الإسرائيلى هجوما مباغتا على جميع المرافق الجوية المصرية ودمرها خلال ساعات مطلقين بذلك شرارة الحرب، استثمرت القيادة الإسرائيلية جملة عوامل الهدف منها جنى الأرباح من معركتها المزمعة.. أهمها:

بسبب صغر حجم إسرائيل النسبى ومحدودية جيشها استخدمت استراتيجية استندت فيها على الاستفادة من جميع العوامل والظروف والطاقات من سوقية وتعبوية عسكرية منها تحديد الأهداف من الحرب.. حيث رأت إسرائيل أن من أهم الأهداف المتوخاة من الحرب هو تثبيت ركائز الدولة العبرية من خلال ضرورة استثمار الحقبة التى كانت تشهد نشأة وتأسيس الدول العربية الحديثة العهد بمؤسسات الدولة والمجتمع المدنى والعسكرى كونها ناشئة حديثا من انفصال ولايات وإمارات عثمانية كدول حديثة الاستقلال تمتلك فلسفة مجتمع وبرامج عمل واستراتيجيات قيد التكوين. كما اعتمدت إسرائيل بسبب هشاشة تكوينها كدولة على دولة عظمى من خلال عقد المعاهدات الاستراتيجية التى من خلالها تقدم الخدمات الجلى لتلك الدول أو من خلال تأثيرات الجاليات اليهودية المتنفذة سياسيا واقتصاديا فيها أو ما يسمى باللوبى الداعم لإسرائيل (الأيباك) (بالإنجليزية: AIPAC) المشكل من الزعامات والقيادات اليهودية الأمريكية.

استغلت القضية اليهودية القديمة فى أوروبا بالظلم الواقع على اليهود ومعاناتهم من اضطهاد الأعراق غير السامية أى ما يسمى بالعداء للسامية.. وآخرها اضطهاد نظام هتلر لهم بما يسمى محارق الهولوكوست.

أطلقت حملة دعم فى أمريكا وإنجلترا تحديداً من خلال الكنائس البروتستانتية ذات العقيدة القريبة من الفكر اللاهوتى التوراتى معتمدةً على التلمود المشترك بين اليهودية وتلك الطائفة التى يدين بها اغلب الانجليز والاكثرية الساحقة من الأمريكان. استغلت إسرائيل عوامل عربية داخلية أخرى مثل انشغال الدول العربية بانقلابات فاشلة أو بلبلة داخلية كتكفير الاخوان المسلمين للحكومة المصرية ومحاولاتهم قلب نظام الحكم والتحريض على حرق معامل حلوان الأمر الذى أشغل الدولة كثيراً مما ترتب عليه إصدار أحكام إعدام بحق المحرض على العملية سيد قطب وكذلك استثمرت الأدوار التى لعبها الجواسيس من اليهود العرب وغيرهم مثل منير روفا الذى اختطف طائرة ميج ٢١ وعزرا ناجى زلخا وايلى كوهين وغيرهم.. فى جمع المعلومات عن السلاح العربى للتعرف على أسراره ومواجهته والعمل كطابور خامس لتحطيم الجبهات الداخلية العربية

اعتمدت على مبدأ التفوق فى السلاح فبعد أن كانت القوات العربية متفوقة تسليحيا حتى عام ١٩٦٥ عقدت إسرائيل عددًا مهمًا من الاتفاقات لإعادة تسليحها بأحدث الأسلحة الغربية واعتمدت كذلك على مبدأ التفوق الجوى فى ساحة المعركة ذلك لوهن الجندى الإسرائيلى ومحدودية حيلته وعدده. و بنت قيادة الجيش والأركان الإسرائيلية خططها على الانفراد بكل جبهة عربية على حدة لعدم امكانيتها من فتح أكثر من جبهة فى آن واحد.

كما اعتمدت على الدول الكبرى من خلال عدم إعطاء الفرصة للقوات العربية بالمبادئة واختيار الزمان والمكان المناسبين لأى تخطيط عسكرى تعبوى وعدم فسح المجال أو إعطاء فرصة للقوات العربية بتنظيم قطاعاتها لصد الهجوم أو القيام بهجوم مقابل من خلال التزام الدول الكبرى الأعضاء بمجلس الأمن باصدار قرار وقف إطلاق النار بعد إتمام العدوان مباشرة لإظهار العرب وكأنهم اخترقوا القرارات والمواثيق الدولية وبهذا يستحقون الردع والعقاب.. وقد كان من أهم أسباب هزيمة الجبهة المصرية الهجمات التى قامت.

بدء العمليات

قامت القوة الجوية الإسرائيلية بضرب المطارات والقواعد الجوية العربية وتحطيم طائراتها.. وكذلك استفادت من الضربة الجوية التى قامت بها القوات الجوية الأمريكية والبريطانية اللتان كانتا متمركزتين بقاعدتى هويلز والعدم بليبيا والتى كان من أهم نتائجها تحييد سلاح الجو المصرى والذى كان بإمكانه تقديم الدعم والغطاء الجوى للقوات المصرية أثناء العمليات العسكرية أو حتى أثناء الانسحاب.. ثم استثمرت تحرك الوحدات العربية فى عملية إعادة التنظيم الخاصة بالقيادة العربية المشتركة وشنت هجوماً بالدروع باستخدام أسلوب الحرب الخاطفة على الضفة الغربية التى كانت تابعة للأردن وعلى مرتفعات الجولان السورية وقطاع غزة الذى كان تابعاً لمصر ولسيناء كل على انفراد حيث استعملت الأسلحة المحرمة دولياً كالنابالم وقذائف البازوكا.

حدث ارتباك لدى القوات المصرية بسبب قرار الانسحاب العشوائى الخاطىء الذى أصدره القائد العام للقوات المسلحة المصرية المشير عبد الحكيم عامر.. فى الوقت الذى قررت فيه الوحدات السورية إعادة تنظيمها للرد على المعركة أو الضربة الأولى. إلا أن مجلس الأمن سارع بإصدار قرار وقف إطلاق النار ففسح ذلك المجال أمام القوات الإسرائيلية بتنظيم وحداتها فيما يسمى عسكرياً استثمار الفوز. شارك الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف بقوات عسكرية لدعم الجبهة على الرغم من القوات الكبيرة الرابضة فى المفرق فى الأردن الا ان الدعم الأمريكى والبريطانى والفرنسى المعلن بالتدخل فى حالة رد الدول العربية على العدوان مالم تستجب لقرار مجلس الأمن الدولى ٢٤٢.. الأمر الذى أفشل خطط الهجوم المقابل العربية وجعل إسرائيل بواقع المنتصر.

لماذا خسر العرب فى ١٩٦٧؟

١ ـ غياب الخطط العسكرية الحربية على مستوى القيادة العربية الموحدة بسبب غياب إرادة القتال لدى القيادات العربية.

٢ ـ الاستعداد الإسرائيلى التام للحرب.

٣ ـ استخدام إسرائيل لعنصر المفاجأة فى ضرب القوات العربية.. حيث لم يتوقع العرب هجوماً عند الفجر لكن إسرائيل نفذت الهجوم فى هذا الوقت؛ مما أفقد العرب توازنهم وسبب خسائر فادحة فى صفوف القوات العربية.

٤ ـ تفوق القوات الإسرائيلية المسلحة بأفضل الأسلحة الغربية الحديثة وخاصة سلاح الطيران الإسرائيلى الذى سيطرت به إسرائيل على ميادين القتال فى جبهات مختلفة.

٥ ـ مساندة الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية لإسرائيل عسكرياً واقتصادياً.

٦ ـ نقص التدريب الجيد والأسلحة المتطورة فى صفوف الجيوش العربية. (بالرغم من أن الجيش الأردنى تمكن من دحر هجوم إسرائيلى رئيسى استهدف احتلال المزيد من الأراض العربية فى معركة الكرامة فى ٢١ مارس ١٩٦٨ بعد بضعة أشهر فقط من حرب ١٩٦٧ بنفس التسليح ودون غطاء.

خسائر إسرائيل:

الجبهة الأردنية:مقتل ٤٨٠ إسرائيليًا.

الجبهة المصرية: مقتل ٢٣٨ إسرائيليًا.

الجبهة السورية مقتل ١٤١ إسرائيليًا.

الخسائر على الجبهة العربية:

مصر: مقتل ١١٥٠٠ جندى مصرى.

سوريا: مقتل ٢٥٠٠ جندى سورى.

الأردن: مقتل ٧٠٠ جنديًا أردني.

تداعيات الحرب

لعل من أسوأ نتائج الحرب من وجهة نظر الأطراف العربية هى خسارة الضفة الغربية وقطاع غزة وشبه جزيرة سيناء وهضبة الجولان.. وتحطم معنويات الجيوش العربية وأسلحتها وبعد اجراء المحاكمات لمتسببى الفشل العسكرى وبعد مضى فترة من الزمن اخذت تتكشف الحقائق عن اخفاق القائد العام للقوات المسلحة المشير عبدالحكيم عامر بوضع الخطط وتنفيذها بالشكل الصحيح خاصة خطط الانسحاب العشوائى. وصدر عن مجلس الأمن القرار ٢٤٢ الذى يدعو إسرائيل إلى الانسحاب من الأراضى التى احتلتها فى ١٩٦٧ وبعودة اللاجئين إلى ديارهم. أدت حرب ١٩٦٧ إلى إعادة تنظيم الخطط العسكرية العربية وإعادة تنظيم قواتها. وقد شنت القوات العربية حرب الاستنزاف على الجبهة السورية والمصرية ومن منجزاتها عملية ايلات التى تم الهجوم على ميناء أم الرشاش الذى اسمته إسرائيل إيلات حيث تم تلغيم الميناء وقتل عدد من العسكريين وإغراق بارجة إسرائيلية. ولم تتوقف العمليات العسكرية السورية فى الجولان من بعد ١٩٦٧ واستمرت حرب الاستنزاف عدة سنوات.. من جهتها استخدمت إسرائيل الحرب النفسية والإعلامية لتصوير هذه الحرب على انها نكسة وهزيمة لشل القدرة العربية على القتال لكن مماطلة الإسرائيليين فى تنفيذ قرار الأمم المتحدة أدت إلى تفكير العرب بالحرب مرة أخرى وكان ذلك فى ٦ أكتوبر.. تشرين الأول ١٩٧٣م.

■■■



خاتمة

الزعيم

ناصر بين يدى التاريخ!!



نستطيع أن نجمل انجازات جمال عبد الناصر فى مجموعة من النقاط هى:

على المستوى الداخلى فى مصر

فى عام ١٩٥٧ وبعد خمس سنوات فقط من قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ كان جمال عبدالناصرقد استطاع أن يعبر بمصر فى الداخل والخارج من ظلام عبودية الاحتلال الأجنبى ومجتمع الفقر والجهل والمرض الذى يعيشه ٩٠٪ من سكان مصر إلى نور الجلاء والاستقلال والحرية ومجتمع العظمة فى محاربة الفقر والجهل والمرض.. محققا حلم الشاعر شوقى والله ما دون الجلاء ويومه عيدا سيكون أهم الأعياد لمصر ومحققا حلم طه حسين فى نشر التعليم كما ينتشر الماء والهواء.. ومكافحا أمراض نشرها الاستعمار لمص دماء المصريين كالبلهارسيا والإنكلستوما والملاريا.. وكم كان هذا العملاق ناصر عظيما عام ١٩٥٦ عندما أمم قناة السويس وقام ببتر ذيل الأسد البريطانى فى حرب هى أقذر حروب القرن العشرين.

- قام بتأميم قناة السويس.

- إنشاء السد العالى على نهر النيل مما ساعد على وفرة الطاقة الكهربائية.. ووفرت الدولة طاقة كهربائية.. ضخمة ورخيصة.. وزادت الانتاج من ٩٩١ مليون كيلو وات/ ساعة إلى ٨١١٣ مليون كيلو وات/ ساعة. بالشكل الذى تحدثنا عنه بالتفصيل.

- تأميم البنوك الخاصة و الأجنبية العاملة فى مصر.

- أصدر قوانين الاصلاح الزراعى و تحديد الملكية الزراعية والتى بموجبها صار فلاحو مصر يمتلكون للمرة الأولى عبر تاريخهم الحديث الأرض التى يفلحونها ويعملون عليها.

- تم تحديد ملكيات الاقطاعيين بمائتى فدان فقط بعد أن كان القلة من الإقطاعيين يملكون آلاف الأفدنة من أجود أراضى مصر الزراعية و يعمل الفلاحون فيها بالأجرة والسخرة

- إنشاء التيلفزيون المصرى ١٩٦٠.

- قوانين يوليو الاشتراكية ١٩٦١.

- إبرام اتفاقية الجلاء مع بريطانيا ١٩٥٤ والتى بموجبها تم جلاء آخر جندى إنجليزى عن قناة السويس و مصر كلها فى الثامن عشر من يونيو ١٩٥٦.

- بناء استاد القاهرة الرياضى بمدينة نصر.

- إنشاء كورنيش النيل.

- إنشاء معرض القاهرة الدولى للكتاب.

- التوسع فى التعليم المجانى على كل المراحل.. وجاوزت الثورة نسبة ٧٥٪ فى الاستيعاب لمرحلة التعليم الالزامى.. وارتفع عدد تلاميذ المرحلة الابتدائية من ١٦ مليونًا إلى ٣٨ مليونًا.. وعدد تلاميذ المدارس الإعدادية والثانوية من ١٥٠ ألفًا من ٢٥٠ ألفًا إلى وعدد طلاب الجامعات من ٤٠ ألفًا إلى ٢١٣ ألفًا.

- التوسع المطرد فى مجال الصناعات التحويلية. يقول د.على الجريتلى..المنتمى إلى المدرسة الليبرالية فى الاقتصاد.. إنه فى عهد عبد الناصر.. قامت الثورة باستصلاح ٩٢٠ الف فدان.. وتحويل نصف مليون فدان من رى الحياض.. إلى الرى الدائم.. ما يصل بنا إلى مساحة مليون وأربعمائة ألف فدان. يضيف د.جريتلى فيما يتعلق بالقطاع الصناعى.. انه حدث تغيير جذرى فى الدخل والانتاج القومى.. فقد زادت قيمة الانتاج الصناعى من ٣١٤ مليون جنيه سنة ١٩٥٢ إلى ١١٤٠ مليون جنيه سنة ١٩٦٥ ووصلت إلى ١٦٣٥ مليون سنة ١٩٧٠ وزادت قيمة البترول من ٣٤ مليون جنيه سنة ١٩٥٢ إلى ١٣٣ مليونًا سنة ١٩٧٠.

- كان الانتاج الصناعى لا يزيد على ٢٨٢ مليون جنيه سنة ١٩٥٢ وبلغ ٢٤٢٤ مليون جنيه سنة ١٩٧٠ مسجلا نموا بمعدل ١١,٤٪ سنويا.. ووصلت مساهمته فى الدخل القومى إلى ٢٢٪ سنة ١٩٧٠ مقابل ٩٪ سنة ١٩٥٢.

وبانتهاء مرحلة عبد الناصر بالكامل كانت مصر تسطر فى صفحات التاريخ صورة رائعة فى تاريخها.. تحولت بموجبها للأفضل علميا وزراعيا وصناعيا من مجتمع النصف فى المائة والفقر والجهل والمرض إلى مجتمع يسابق الزمن لتحقيق طموحات العملاق فيما يلى:

١- فى الصناعة: من الحديد والصلب إلى الألف مصنع.

٢- فى الزراعة: من الفلاح العبد فى مزارع الإقطاع إلى الفلاح العصرى المحطم للجلبات الأزرق على اللحم وحافى القدمين.. مع الاهتمام بتصنيع المنتجات الزراعية.

٣- فى التعليم: التحول المبهر من مرحلة التعليم البدائى فى الكتاتيب والمدارس الإلزامية قبل الابتدائى فى قرى مصر إلى مدارس ابتدائى واعدادى وثانوى وتجارى ومعاهد دينية.. مع منح المواطن المصرى الفرصة والحق فى التعليم العالى مهما كان فقيرًا.

٤- فى الفنون والآداب: من فن العوالم والخمارات إلى فن عظماء المسرح والسينما والغناء.. وحتى الرقص فرقة رضا.. ومن أدب صالونات الارستقراطية.. والنفاق إلى أدب عمالقة الرواية والقصة من أدباء أناروا هذه المرحلة.

٥- فى الدفاع وأمن مصر: من استيراد طلقة الرصاص للبندقية والمسدس إلى إنتاج حربى وطنى ينتج الأسلحة الخفيفة والمتوسطة والثقيلة بذخائرها بل والاستعانة بخبرات أجنبية فى إنتاج الصواريخ القاهر الظافر.

٦- والطاقة النووية مفاعل أنشاص وصناعة السيارات نصر وصناعة الطائرات القاهرة.

٧- ومن قوات مسلحة خربت فى حرب ١٩٤٨ إلى جيش وطنى قوى صارع أقذر الحروب عام ١٩٥٦ إلى جيش وطنى جعل من مصر أقوى الدول عسكريا بالمنطقة.

٨- فى الإعجاز العلمى والتاريخى: إقامة السد العالى وتحويل مجرى نهر النيل مع ميلاد أكبر بحيرة صناعية فى العالم هى بحيرة ناصر على خريطة مصر.

على المستوى العربى

كان عام ١٩٥٧ والسنوات الخمس التالية له مرحلة الانفجار الثورى للحرية والنهضة فى منطقة الشرق الأوسط من الخليج إلى المحيط وبعض من دول إفريقيا وأمريكا اللاتينية وكان القدوة والمفجر الثورى هو العملاق ناصر.

وفى هذه المرحلة تحققت روعة الانتفاضات الوطنية التاريخية فى دول من أهمها الجزائر والعراق والمغرب وتونس وسوريا والسودان.. وتوج الانفجار الثورى فيها بجمهورية عربية متحدة لن ينساها التاريخ بين مصر وسوريا ١٩٥٨ ـ ١٩٦١.

وهكذا وبعد مرور عشر سنوات على ثورة يوليو ١٩٥٢.. كانت بالنسبة لعبد الناصر الفترة من (١٩٦٢ - ١٩٦٦) هى أصعب مراحله التى حاول فيها الانطلاق متحديا حلفاء أمريكا فى أقذر حروب القرن العشرين وقد كان عام ١٩٦٢ بداية للضربات المضادة لتحطيم طموحات ناصر حيث تم تدمير نواة الوحدة القومية العربية بين مصر وسوريا ثم تلاها حتى عام ١٩٦٦.. ما يلى من ضربات:

١- وجود قوات الاحتلال وزيادتها فى عدن اليمن الجنوبى ومحميات الخليج العربى دول الآن التى كانت تعيش مجتمعاتها حياة القرون الوسطى هى واليمن الشمالى وبعد طردها وقيادة حلف الأطلنطى من قناة السويس محققة الفصل الاستراتيجى للقومية العربية شرقها وغربها.. مع ضمان الملاحة البحرية من الجنوب فى مضيقى تيران والعقبة لإسرائيل.

٢- زرع ألغام الوقيعة والعراك بين مصر ودول عربية مهمة منها عراق عبدالكريم قاسم وسوريا ما بعد القوتلى وجزائر ما بعد بن بيللا. ودول الملوك الثلاثة العربية خاصة سعودية الذهب الأسود.

٣- تنفيذ حصار اقتصادى صارم على مصر تنفذه الكتلة الغربية للحرب الباردة بزعامة أمريكا. وبهدف تحطيم العملاق من الداخل مما حقق تقوية وعظمة علاقاته مع كتلة عدم الانحياز والكتلة الشرقية.

- مساندة للحركات الثورية فى الوطن العربى.

- وافق على مطلب السوريين بالوحدة مع مصر فى الجمهورية العربية المتحدة.. والتى لم تستمر أكثر من ثلاث سنوات تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة (١٩٥٨-١٩٦١) وسط مؤامرات دولية وعربية لإجهاضها.

- استجاب لدعوة العراق لتحقيق أضخم انجاز وحدوى مع العراق وسوريا بعد تولى الرئيس العراقى المشير عبد السلام عارف رئاسة الجمهورية العراقية بما يسمى باتفاق ١٦ ابريل ١٩٦٤.

لماذا قرر ناصر الدخول فى حرب اليمن؟

يجب الإجابة عن سؤال مهم هو: لماذا أرسل ناصر بعضا من القوات إلى اليمن؟ وهل كان هذا سببا لنتائج حرب ١٩٦٧؟ وللإجابة نقول: إن ناصر ومنذ قيام الثورة وقف مع الجزائر وعاونها بالعتاد والرجال إلى أن تحررت من الاستعمار الفرنسى.

وإنه فى خلال مرحلة الوحدة مع سوريا كان لمصر بعض من قواتها فيها.. وقد لا يعلم الكثير أن مصر فى الستينيات كانت قواتها المسلحة تضم بعضا من القوات المسلحة من كل من الجزائر والسودان وفلسطين والكويت وسوريا.

أما عن اليمن الشمالى العربى الشقيق فإن ناصر لم يرسل بعضا من قوات مصر لدعم ثورته على التخلف ونقله من القرون الوسطى للقرن العشرين فقط كما يتصور الجهلاء.. ولكن كان هناك هدف استراتيجى للأمن القومى المصرى.. هو مطاردة قوى الاحتلال البريطانى التى طردت من قناة السويس وتمركزت فى اليمن الجنوبى بقاعدة عدن لتضمن سلامة الملاحة لإسرائيل بعد طردها من سيناء وتمركزت قوات دولية فى مضيق تيران بشرم الشيخ.. فى حرب ١٩٥٦ وقد كان للقوات المصرية فى اليمن

الفضل فى محورين الأول بنجاح ثورة اليمن الشمالى.. والثانى دعم العملية صلاح الدين التى يقوم بها الأبطال الفدائيون من أبناء اليمن الجنوبى ضد المحتل فى قاعدة عدن.

ولن ينسى التاريخ لعبد الناصر أنه محرر اليمن الجنوبى من الاستعمار.. وأنه موحد لليمن الشمالى واليمن الجنوبى فى دولة واحدة هى دولة اليمن.. وأن هذه القوات ذهبت للتحرير وليس للاحتلال وللتعمير وليس للتدمير وتوحيد قطرين عربيين شمالى وجنوبى فرقهما الاستعمار وتمهيدا لوحدة عربية يكون فيها البحر الأحمر بحرا عربيا.

ولمن يعيب على ناصر ذهاب بعض من قواته لليمن نرجوه أن يجيب عن سؤال مهم هو: لماذا اشترت إسرائيل الآن جزرا من إريتريا فى مدخل البحر الأحمر ومتمركزة بها حاليا قوات إسرائيلية مع بداية هذا القرن الجديد من الزمان؟!

خلال هذه الفترة كان مستهدفا القضاء عليه وعلى طموحاته من دول الاحتلال ومصاصى دماء الشعوب الضعيفة ذات الثروات الطبيعية الهائلة.

فعندما عاون ثورة الجزائر خططت فرنسا لقتله فى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة بمجموعة كوماندوز تتحرك بقارب من سفارتها على النيل لتهاجم مجلس قيادة الثورة وتنفذ المهمة التى عادت وجبنت وألغت التنفيذ.

وقبل أحداث الحرب فى ١٩٥٦ وبعد تأميم قناة السويس أصدر رئيس الوزراء البريطانى إيدن أوامره لأجهزة مخابراته لتنفيذ قتل ناصر وفشلت هذه الأجهزة فى التنفيذ.

وفى الستينيات حاولت إسرائيل قتله بعميل يعمل جرسونا فى محل جروبى لولا عيون الصقر العملاق التى أربكت الجرسون فسقط منه المشروب السام على الأرض وفشلت المحاولة.

وبعد فشل هذه المحاولات قام أطراف الحرب فى ١٩٥٦ بتعديل الهدف ليكون ليس قتلا ولكن تدميرا له ولقواته المسلحة لإهانته أمام شعبه والشعوب العربية مع دفن طموحاته وتحدد عام ١٩٦٧ لتنفيذ ذلك.

وجاء عام ١٩٦٧ حيث كانت فيه أمريكا تغوص فى وحل حرب فيتنام حتى الرقبة.

وفاشلة فى تجقيق احتلالها لها.. وكانت مصر ببعض من قواتها فى اليمن الشمالى تقف مع شعبها محررا نفسه من حياة القرون الوسطى ليحيا فى القرن العشرين ومجاهدا لضم شطريه الجنوبى المسمى باليمن الجنوبى ولمن لا يعلم فقد كان عام ١٩٦٧ من أصعب الأعوام التى مرت على قوات قواعد الاحتلال فى عدن واليمن الجنوبى نظرا لما تعرضت له من أعمال النسف والتدمير التى قامت بها مجموعات الأبطال والفدائيين والانتحاريين والكوماندوز من رجال وقبائل اليمن الجنوبى الذين ينطلقون لتنفيذ مهامهم من اليمن الشمالى العملية صلاح الدين.

ولن ينسى التاريخ للعملاق أنه لو مر عام ١٩٦٧ دون تدميره هو وقواته لكان عام ١٩٦٨ هو عام فرحه الكبير فى توحيد اليمن وطرد فلول الاحتلال التى انتقلت من السويس إلى عدن.

على المستوى العالمى

كان خلال فترة الحرب الباردة بين الكتلتين الشرقية والغربية النجم الساطع فى الكتلة الثالثة وهى كتلة عدم الانحياز.

- وساهم فى تأسيس منظمة عدم الانحياز مع الرئيس اليوغوسلافى تيتو والإندونيسى سوكارنو والهندى نهرو.

ناصر ٦٧

ونعود إلى عام ١٩٦٧ حيث كان فيها ناصر سعيدا وفخورا بما يحدث فى اليمن الجنوبى لتحريره ليصبح البحر الأحمر بحرا عربيا ولم يكن يعلم أن خطة تدميره وقواته بدأ الإعداد لها حيث أطلق عليه أعداؤه الديك الرومى. وكان لابد لتدميره من معرفة نواياه باختراق لا يخطر على بال بشر.

وقد تم هذا الاختراق طبقا للتخطيط البريطانى وبعد الرجوع إلى محاربيه القدماء فى الحرب العالمية الثانية ليتم على الوجه التالى:

أولاً: بمناسبة ذكرى الانتصار فى معركة العلمين غرب الإسكندرية تم دفع بطلها الفيلد مارشال مونتجرى لحضور الذكرى ولقاء ناصر وقائد قواته عامر والإنصات لهما للوقوف على نواياهما وأفكارهما وقدراتهما.. مع تقديم بعض نصائح كان أهمها: سيناء لا تصلح لتمركز قوات مسلحة كبيرة فيها ويجب أن يتم القتال فيها بالوثب من القناة إلى مزارع فلسطين أو العكس.

ثانيًا: لاختراق ناصر وقواته فى اليمن تم دفع الملك سعود ملك السعودية الذى تنازل لأخيه فيصل عن العرش لزيارة مصر ولقائه ناصر وقائد قواته طالبا السماح له بزيارة اليمن للتبرع لكل من مدن الحديدة وصنعاء وتعز بمليون دولار لتطويرها وقد نفذ طلبه وصحبه عامر وتم الاختراق بالزيارة حيث قضى ليلة فى كل مدينة من المدن الثلاث.

وللتاريخ يعتبر هذا الاستطلاع الاستراتيجى لاختراق رئيس دولة وقائد قواته بواسطة ملك سابق.. وفيلد مارشال محارب قديم هو قمة الدهاء البريطانى فى التخطيط لتدمير ناصر وقواته. ولم يسجل التاريخ من قبل حدثا كهذا.. وعلى هذا المستوى.. ومن هذا الاستطلاع استفاد المنفذ إسرائيل حيث تكرر تدمير القوات الجوية والطائرات على الأرض كما حدث فى ١٩٥٦ مع القفز من مزارع فلسطين إلى ضفة القناة الشرقية تماما كما حدث فى تخطيط الحرب القذرة فى ١٩٥٦.. وكانت حرب ١٩٦٧ بالنسبة لمصر ليست انسحابا أو هزيمة أو نكسة ولكنها ضربة مكررة لتدمير العملاق ونفذها خصومه آملين فى استعادة قناة السويس وعدلت الضربة لتكون بدلا من التنفيذ من الشمال فى بورسعيد إلى السويس فى الجنوب بإنجلترا وفرنسا حيث أصبحت من الشرق إلى الغرب حتى الضفة الشرقية للقناة وآملين بعد إحراج العملاق أمام شعبه أن يولد عميل بتفاوض معهم وتعود القناة إلى ما كانت عليه قبل التأميم.

معروف أن السياسة الأمريكية تجاه مصر وصلت إلى حد العداء الكامل فى أواسط الستينيات وكانت حرب ١٩٦٧ ذروة التصعيد الأمريكى ضدها.. حيث ساهمت واشنطن عسكرياً فى دعم العدوان الإسرائيلى بعد أن فشلت فى ضغوطها السياسية

والاقتصادية على عبد الناصر فى مرحلة ما قبل العدوان.. إلا أنه رغم ذلك فإن الهدف الذى كانت تصبو إليه إدارة الرئيس الأمريكى وقتئذ جونسون بتركيع نظام عبد الناصر لم يتحقق.

وكتب وزير الدفاع الإسرائيلى الأسبق موشيه دايان فى مذكراته أنه كان ينتظر عقب هزيمة ١٩٦٧ اتصالاً هاتفياً من جمال عبد الناصر يبلغه فيه استعداده للاستسلام الكامل ولتوقيع معاهدة مع إسرائيل.. وهو ما لم يحدث.. كما كشف أن إسرائيل وبدعم أمريكى عرضت على عبد الناصر إمكان الانسحاب الكامل من سيناء مقابل شرط واحد هو عدم تدخله فى مصير الجبهات العربية الأخرى وكان القصد واضحاً من هذا العرض.. عزل مصر عن محيطها العربى وعن جوهر الصراع أى القضية الفلسطينية.. وهو ما لم يحدث أيضا.

فقد سارع عبد الناصر بعد ساعات قليلة من النكسة لإعادة بناء القوات المسلحة المصرية.. كما حرص على إرساء التضامن العربى فى قمة الخرطوم عام ١٩٦٧ حيث دخلت المنطقة العربية كلها فى مرحلة جديدة أطلق عليها تضامن النفط والمدفع وذلك بهدف تحرير الأراضى العربية المحتلة ورفض تحقيق الشروط الإسرائيلية للسلام مع العرب.

وخلال فترة زمنية قصيرة جداً (أقل من ثلاث سنوات) قاد عبد الناصر مصر والأمة العربية إلى وضع مختلف تماماً عما كان عليه قبل حرب ١٩٦٧.. خاصة لجهة أولوية المعركة مع العدو الإسرائيلى.. ووقف الصراعات العربية كلها بما فى ذلك سحب الجيش المصرى من اليمن ورفض التدخل فى الشئون الداخلية العربية ومباشرة حرب الاستنزاف ضد إسرائيل مع دعم انطلاقة المقاومة الفلسطينية وتوفير كل أنواع المساندة لها.. لكن القدر لم يسمح لجمال عبد الناصر أن يعيش طويلاً وأن يحصد ثمرة سياسات الفترة من ٦٧ - ١٩٧٠ حيث وافت المنية جمال عبد الناصر بعد أن أرهق نفسه لأيام طويلة من أجل وقف الحرب المدمرة التى حدثت بين الجيش الأردنى والمنظمات الفلسطينية فى شهر سبتمبر ١٩٧٠.

تقارب بين نيكسون وعبد الناصر

ويجب الإشارة هنا إلى أن إنجازات عبد الناصر خلال تلك الفترة القصيرة لم تقتصر فقط على الاستعداد لمعركة التحرير وتوحيد العالم العربى وإنما توجت أيضا بإحداث تغيير فى السياسة الأمريكية.. حيث جاء الرئيس الأمريكى الجديد فى هذا الوقت نيكسون محاولاً بناء علاقات جيدة مع مصر بعد أسوأ حقبة فى تاريخ العلاقات الأمريكية المصرية فى عهد جونسون.. وأسفرت تلك المحاولة فى صيف عام ١٩٧٠ عن قبول عبد الناصر بمبادرة روجرز الأمريكية من أجل وقف إطلاق النار على جبهة قناة السويس.. التى شهدت على مدار سنتين سابقتين حرب استنزاف قاسية للاحتلال الإسرائيلى على الضفة الشرقية للقناة.

ثم جاءت مرحلة الرئيس المصرى الراحل أنور السادات الذى أشرف على استكمال الخطط كلها التى بدأها عبد الناصر من أجل عبور القناة وخوض حرب عسكرية مدعومة بتضامن عربى واسع خاصة من الدول العربية النفطية.. وكانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ التى أعادت العزة والكرامة للعرب وقضت على أسطورة الجيش الإسرائيلى الذى لا يقهر.

ويمكن القول: إن من أهم دروس هزيمة ٥ يونيو عام ١٩٦٧ هو إعادة عبد الناصر ومن بعده السادات النظر فى السياسة الداخلية والعربية لمصر بعد أن أدركا أن التحرر من الاحتلال يقتضى أقصى درجات الوحدة الوطنية فى الداخل.. وأعلى درجات التضامن والتنسيق بين الدول العربية.. ولذا عندما توحد العرب خلف مصر فى حرب أكتوبر تحقق النصر.. وما أحوجنا اليوم بالفعل لموقف مماثل.

ناصر.. وسنوات ما قبل الرحيل

كان ناصر شامخا فى السنوات الأخيرة من عمره ١٩٦٨ - ١٩٧٠.. حين حملته جماهير مدينة الخرطوم بسيارته على الأعناق فى مؤتمر الخرطوم وحين عادت قواته فى اليمن بعد أن أدت رسالة سبق إيضاحها وحين تحرر اليمن الجنوبى من الاحتلال

وتوحد مع الشمالى فى دولة اليمن الحالية وحين أعيد تنظيم القوات المسلحة وولد الجيش الثالث وقوات الدفاع الجوى المدفعية المضادة للطائرات سابقا وحين تمت إقامة حائط الصواريخ مع تساقط الطائرات الفانتوم المعادية وحين ولدت وتدربت فرقة مدرعة ليصبح لجيش مصر فرقتان بدلا من واحدة وحين استعادت قوات العملاق كفاءتها القتالية العالية وأصبحت قواته البحرية لها القدرة على غلق مدخل البحر الأحمر فى عدن.. وحين استشهد رئيس أركان حرب القوات عبدالمنعم رياض وحين حقق التصالح الأردنى الفلسطينى فى أيلول الأسود عام ١٩٧٠.

يوم مات آخر الزعماء !!

يوم الرحيل:

فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ م بعد أن ودع الرئيس جمال عبد الناصر رؤساء الدول العربية فاجأته أزمة قلبية وتوفى الرئيس جمال عبد الناصر عقب مفاوضات وساطة شاقة أجريت خلال قمة عربية دعا إليها واجتمعت فى مصر لوقف القتال بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية التى كانت تتمركز فى الأراضى الأردنية.. فيما عرف بأحداث أيلول الأسود.

وكانت مناحة عظيمة فى أرض مصر وحضر كثير من رؤساء الدول ونزل المصريون فى الشوارع ولبسوا ملابس الحداد وشعر كل فرد أنه فقد قريباً له وكان صراخ النساء يسمع.. فى شوارع مصر جميعها.

وإحقاقا للتاريخ أنه لم يحزن شعبٌ على موت رئيس مثلما حزنت مصر على فراق الرئيس جمال عبد الناصر.

توفى العملاق ناصر شامخا بعد نجاحه فى تحقيق المصالحة الأردنية ـ الفلسطينية وعودته من المطار إلى داره متحديا آلامه حتى فاضت روحه على سريره فى هذه الدار المتواضعة التى كانت سكنا أميريا له كضابط قوات مسلحة بدلا من صرف بدل سكن قدره أربعة جنيهات لمن لم يحدد له سكن.

وهكذا.. أحبه الملايين.. واختلف معه الملايين..

كان فى قلبه أمة.. ولما توفى.. أصبح يعيش فى قلب أمة..

ومهما اختلفت الآراء حوله.. سـ يبقى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ يوم رحيله.يوم ذكرى لا تنسى

فماذا حدث يوم الرحيل.. وفى الساعات التى تلت وفاته.. وماذا حدث خلف جدران منزله فى منشية البكرى وخلف جدران القصر الجمهورى.

كيف تم الاتفاق بعده على..التواصل.. والخلافة.. ونبدأ أولاً بما تعلق بوفاته المفاجئة من شائعات.. ونبدأ بأخطرها المتعلقة باتهام هدى عبد الناصر للسادات باغتيال أبيها..

حكاية هدى عبد الناصر واتهامها للسادات بقتل أبيها

تفجرت هذه الأزمة عندما استضاف عمرو الليثى فى برنامجه اختراق الدكتورة هدى وسألها السؤال التالى:

كيف توفى الرئيس جمال عبد الناصر؟

- قالت: أشعر بأنه مات قتيلا!

- ومن قتله؟

- حال قتله سيكون قاتله هو السادات.

ودللت هدى على طرحها الخطير بأن السادات يوم وفاة ناصر (أو قتله!!) كان يقيم بالغرفة المجاورة له بفندق الهيلتون خلال انعقاد مؤتمر قمة أيلول الأسود الذى قام فيه ناصر بتصفية النزاع المسلح الذى نشب بين الجيش الأردنى وحركة فتح الفلسطينية على أراضى الأردن. وكانت وثائق من المخابرات الأمريكية قد جرى تسريبها فى وقت سابق.. وصلت لعبد الناصر.. تكشف - كما قالت هدى - أن السادات عميلاً للاستخبارات المركزية الأمريكية.. وهى جهة كان لها مصلحة فى التخلص من جمال عبد الناصر.. شخصياً!

فكيف إذن مات عبد الناصر؟ وهل كان ثمة مجهول وراء موته؟

ذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه عبد الناصر والعالم أن مسئولاً صينياً كبيراً التقى وفداً مصرياً زار بكين بعد وفاة عبد الناصر بشهرين.. فقال لهم: كيف مات ناصر؟ فقال له المصريون: إرادة الله.. والأعمار بيده وحده!.. وذكر هيكل كيف استهزأ المسئول الصينى بهذا الرد.. ليس لأنه كان ملحداً ولكن لأنه رأى أن السوفييت. الذين أشرفوا مباشرة على علاج الرئيس من مرض السكر والشرايين المتصلبة وذبحاته الصدرية المتكررة فى العامين الأخيرين لحياته - لم يحسنوا علاجه.. وألمح الصينى إلى مؤامرة اشترك السوفييت فيها لقتل ناصر!

وربما يسهل التجريح فى شهادة الصينيين الذين دخلوا فى عداء أيديولوجى مع السوفييت (منذ العام ١٩٥٦.. بعد خلاف حاد على نصوص وتفسيرات وتوجهات فى الماركسية بين الحزب السوفيتى والحزب الصينى.. أفضى إلى اتهام الصين للسوفييت بالانحراف عن الماركسية).. ولكن المؤامرات التى نسجت حول وفاة عبد الناصر أكبر من هذه الفارقة!

فالصحافة المصرية نشرت قبل نحو ١٥ عاماً عن مدلك لازم الرئيس عبد الناصر فى أعوامه الأخيرة.. وكان التدليك جزءاً من علاج طبيعى قننه السوفييت لعبد الناصر.. واسمه على العطفى.. نسب إليه أنه كان عميلا لجهاز الاستخبارات الصهيونى الموساد.. وأنه كان يدلك جسد الرئيس بمراهم ودهانات سامة تقتله على مراحل! وكفت الصحافة عن النشر حول العطفى وكأن شيئاً لم يكن.

أيضا ذكر المؤرخون - مثل محمد حسنين هيكل ورءوف عباس وعبدالعظيم رمضان وآخرين - إن عبد الناصر تعرض لـ ٢٦ محاولة اغتيال فى حياته.. فيما أكد هيكل فى أكثر من كتاب أو حوار تليفزيونى أو صحفى أن الطبيب المصرى المعالج لعبد الناصر أحمد ثروت.. رفض اعتماد تقرير الوفاة الصادر للرئيس عبد الناصر.. لكى لا يتحمل أية مسئولية!!

ويعضد الشكوك التى تراوح مكانها حول كيفية وفاة الزعيم.. كونه توفى وهو ابن ٥٢ عاما وحسب.. وإن كان أطباء كبار - على رأسهم البروفيسور شازرو الطبيب المعالج لناصر من الجانب السوفيتى - يؤكدون أن صحته تدهورت فعلا فى السنة الأخيرة.. بعد تعرضه لجهد عصبى ونفسى وبدنى فاق طاقته وأفضى لفشل منظومة علاجه وبالتالى أتت وفاته طبيعية.. وبخاصة أنه تعرض لإرهاق مضاعف خلال الساعات الثمانى والأربعين التى سبقت وفاته.. خلال مؤتمر أيلول الأسود!

توقع السوفييت وفاة مبكرة لعبد الناصر.. ولكن ليس على هذا النحو. وثمة شهادة مهمة فى هذا الإطار.. فعبد المحسن أبو النور - أحد الضباط الأحرار وأمين تنظيم الاتحاد الاشتراكى فى العهد الناصرى - أورد فى مذكراته أن عبد الناصر أهمل نظام الحماية الغذائية الذى كان قرره له السوفييت.. وتناول النشويات والدهون والسكريات على نطاق واسع.. وبخاصة فى الولائم التى كان يقيمها له السادات فى بيته بالجيزة! وبرر أبو النور ذلك بالأصول الريفية الصعيدية لناصر (من مواليد بنى مر - أسيوط) التى لا تكترث كثيرا بأوامر الأطباء وبخاصة فى نظم التغذية!

دس السم

يقول عاصم الدسوقى أستاذ التاريخ وعضو المجلس الأعلى للثقافة إن عبد الناصر لم يقتل بالمعنى الحرفى للكلمة.. ويؤكد: السادات اختلف مع سياسات عبد الناصر أو عارضها جملة وتفصيلا.. لكنه لم يقتله!

ويمضى الدسوقى قائلا: نعم.. اعترف السادات بأنه قتل السياسى المصرى أمين باشا عثمان حين كان السادات ضابطا صغيرا وثوريا بالجيش المصرى (كان أمين عثمان من أبرز أعوان الاحتلال البريطانى وقرر السادات ورفاقه قتله بعد أن قال فى حشد عام: إن العلاقة بين مصر وبريطانيا كالزواج الكاثوليكى.. بلا طلاق..). ولكن هذا ليس دليلا على احتراف السادات العنف.

من جهة أخرى - يتابع الدسوقى - فإن السادات.. وفق ما هو ثابت حتى فى مذكرات خصومه كعلى صبرى وعبد المحسن أبو النور وشعراوى جمعة وغيرهم.. لم يكن يحلم

برئاسة الجمهورية.. حتى بعد أن عينه ناصر نائبا له فى السنة الأخيرة.. لأن عبد الناصر كان له أكثر من نائب لا السادات وحده، وكان يغير نوابه باستمرار.. فكان منصب (النائب) مجرد تكريم ولفتة شرفية! ومن ناحية ثالثة.. فإن السادات لم يكن مقربا لعبد الناصر ولا صاحب نفوذ فى قصره بحيث يمكنه الدس له فى بيته.. سواء دس السم أو غيره!

القتل الحقيقى ليس بإسالة الدم فقط.. فالسادات قتل تجربة عبد الناصر وصفاها جسداً وفكراً.. صفاها جسداً بأن أطاح بكل المنجزات الاجتماعية والاقتصادية للعهد الناصرى.. وفكراً بأن حول مصر من النظام الاشتراكى إلى (الانفتاح الاقتصادى) الذى أورث البلاد معضلات اقتصادية واجتماعية لاتزال تكابدها إلى اليوم.

أما القتل بتعريفه القانونى.. وتغييب الجسد فلا نعتقد على الإطلاق أن السادات قام به ولا كان له فيه أى دور ! فليس من دليل واحد على ذلك إلى الآن.. والقاعدة تقول: إن التاريخ لا يأخذ أحدا بالشبهات!

قاتل محترف..

المؤرخ عبد العظيم رمضان يقول: السادات ليس قاتلا محترفا لكى يسلك هذا المسلك ضد عبد الناصر. لا أقول هذا تحمساً منى لنظرة السادات البعيدة للأمور أو تعقباً لسياساته.. التى أرى أن معظمها كان جيداً ومتقدماً عن عصره.. ولكن لأن السادات حين قتل أمين عثمان.. وكان هذا حادث القتل الوحيد فى حياته.. لجأ إلى ذلك لكى يقضى على واحد من أكبر الخونة.. أما السادات فلم يكن ينظر إلى عبد الناصر إلا بكل تقدير.. بل إنه كان مشهوراً بطاعته لناصر.. وكان زملاؤه فى مجلس القيادة يسخرون من ذلك.. قائلين بأن السادات لم يختلف مع ناصر ولو لمرة واحدة!

وسبق أن تعرض عبد الناصر لمحاولات تصفية جسدية متعددة.. لكنه نجا منها جميعاً.. ولم يثبت ـ ولا قيل يوماً ـ أن للسادات يدا فى إحداها.. وأعتقد أن اتهام السادات بقتل عبد الناصر اتهام عار من الصحة التاريخية.

إذن.. فعبد الناصر مات بصورة طبيعية؟ يقول رمضان: التعمية الكاملة التى كان يباشرها النظام الناصرى على الجماهير تمنع أى إجابة حقيقية عن الظهور.. فناصر حين كان يصاب بذبحة صدرية عنيفة مثلاً ويسافر إلى مصحة «تسخالطوبو» فى الاتحاد السوفيتى لتلقى العلاج بالمياه الدفيئة.. كان الخبر يحجب عن الإعلام كلية.. أو على أقصى تقدير تذكر الصحف أن الرئيس معتكف فى داره لإصابته بـ «نزلة برد».

هذه السياسة الإعلامية التى تتخذها عادة النظم الشمولية - يقول رمضان - تؤدى إلى إخفاء الحقائق.. وتاريخيا لا يمكن القطع بأن ناصر مات بصورة طبيعية أو بصورة جنائية.. والأمر بحاجة إلى فتح ملفات مؤسسة الحكم الناصرى.. ويجب أن يتكلم كتّاب مثل هيكل ومسئولون من عهد ناصر مثل سامى شرف أو غيرهما ممن يملك الوثائق والعلاقات الوطيدة مع الحكم الناصرى لاستجلاء الحقيقة.. لأن ثمة غموضا يستحق التدقيق فى وقائع وفاة عبد الناصر فى العام ١٩٧٠!

قتل الحاكم:

ليس مهماً أن نتوقف أمام هذا الحدث بعينه - وإن كان استيفاء الحوادث التاريخية للحكام ضرورياً فى رصد تاريخ الشعوب بالطبع - لكن الجدل الدائر يكتسب أهميته من مستويات أخرى أهم:

على رأس هذه المستويات الحديث عن قتل الحاكم: فالمصريون لا يعرفون جريمة الاغتيال فى سابق تاريخهم.. إلا ابتداء من اغتيال السادات (١٩٨١).. وإلى الآن يستنكرون هذه الجريمة.. جريمة قتل الحاكم - عموماً - فهو فى نظرهم محل اختلاف.. لكن شخصه يبقى له احترام خاص لا خلاف عليه.. وهذه عقيدة مترسخة بالمجتمع المصرى منذ العصور الفرعونية التى كانت تكرس الملك رباً كامل الربوبية!

فإذا كان عبد الناصر أيضاً مات قتيلاً.. نكون بإزاء ثقافة جديدة تسللت إلى المجتمع المصرى.. وهى هنا تسللت إلى أدمغة النخبة. لأن عبد الناصر حال وفاته - قتيلاً

ـ يكون قاتله بالضرورة واحداً من أهل السلطة والمقربين منه جداً.. والسادات كان صديقاً لعبد الناصر.. لكن ناصر لم يكن يدنيه منه سوى فى أوقات بعينها.. حين يحتاج إلى صديق مطيع وبلا أية أيديولوجية تحركه.. وفتح الملف ربما يؤدى إلى وضع أسماء كانت كبيرة فى العهد الناصرى تحت طائلة المساءلة وربما تحت مستوى الشبهات! وتكون ثقافة الاغتيال تحكمنا منذ ٣٥ عاما من دون أن ندرى!

المستوى الثانى لقراءة هذا الجدل: إن الجماهير يحق لها أن تعرف الطريقة التى مات بها أحد رؤسائها قبل ٣٥ عاما.. بخاصة أنه فى حال صحة ما يقال عن قتل عبد الناصر.. فإن قاتله ـ أياً كان شخصه ـ يجب أن يدان بالخيانة فوراً وبلا مواربة.. لأن تصفية عبد الناصر جاءت فى وقت شديد الحساسية والحرج مصرياً وعربياً ودولياً.. هذا إن كانت حقاً (تصفية) وليست وفاة طبيعية! ولا يجب أن يمر مرور الكرام لأنه ليس مجرد جدل ترفى محصور فى دائرة النخبة.. بل يخص حاكماً كان رئيساً للشعب كله.. وانتهت حياته مبكراً!

أما المستوى الثالث لقراءة هذا الجدل؛ فهو أنه على الرغم من أهمية الموضوع ذاته ـ وأنا مقر تماما بهذه الأهمية ـ إلا أن من غرائب الأمور أن نلتفت إلى الماضى بكل هذه القوة وعلى هذا النحو من الاهتمام فى الوقت الذى نمر فيه بمتغيرات وأزمات حرجة للغاية فى الوقت الراهن يجب أن تنال الجانب الأكبر من اهتماماتنا.. وتأتى بعدها قضايا من نوعية موت عبد الناصر!

محاولات للاغتيال:

وفى سياق ما ذُكر عن تعرض ناصر للعديد من محاولات الاغتيال منها اغتيالات حقيقية وملفقة وتعددت الأقوال عن مصادر تخطيطها وتمويلها من قبل مصريين.. عرب.. سوفييت.. أمريكان.. إنجليز.. فرنسيين.. إسرائيليين ولكن واجهتهم مشكلة صعبة للضغط والتهديد أو التخلص منه لأنه ذو شخصية جذابة وقوية وقيادية ومسيطرة (كاريزما)، وأثار شعورًا قوميًا عند المصريين والعرب وشعوب دول العالم

الثالث التى كانت تحت الاحتلال أو فى طريقها نحو الاستقلال، كما أثار غضب مخالفيه من بعض الدول العربية والغربية فقد أثار إعجاب أغلبهم ورغم الخلافات من مؤيد او معارض لسياسته الداخلية والاقليمية والخارجية خاصة الصراع العربى ـ الإسرائيلى وتأميم قناة السويس ومحاولة توحيد الدول العربية وفرض نظام اشتراكى فإنه كان رجلاً بلا رذائل نحو المال والنساء والحفلات وملذات الحياة مما صعب عليهم استغلاله او استغلال معاونيه أو المحيطين به أو اغتياله وكان من الصعوبة مقاومة أفكاره واتجاهاته لأنها مبنية على كرامة وعزة وشموخ وعدم تنازل جعلت أغلب الشعوب العربية وغيرها تعتبره تجسيدا ورمزا لها.

ومن محاولات اغتياله تقديم وفد لبنانى تفاحًا مسمومًا له لندرة التفاح اللبنانى فى مصر فى ذلك الوقت ويعد هدية قيمة.. وشائعة محاولة مدلك مصرى تسميمه بمرهم مسموم أثناء تدليك «رِجل» ناصر ولكن المخابرات المصرية نفت الحادثة.. وفشل طباخ يونانى يعمل فى فندق النيل هيلتون جندته المخابرات البريطانية فى تسميم شوربة اعتاد ناصر تناولها لكن ارتعاش يد الطباخ عند تقديم الطبق كشفه.. فاعترف بالمحاولة، وحاولت المخابرات الأمريكية اغتياله عندما قال أيزنهاور بعد إلقاء عبد الناصر خطابا حماسيا قائلا: ألا يوجد أحد يستطيع أن يجعل هذا الرجل يصمت؟ فأصدر دالاس وزير الخارجية تعليماته إلى جهاز المخابرات بالتخطيط لاغتيال ناصر وعندما طلبوا إلى ايزنهاور التوقيع على خطة الاغتيال ـ لكنه بخلفيته العسكرية ـ رفض وقال: ليته كان معنا والمشكلة انه ضدنا ولكن ليس إلى درجة الاغتيال. وهناك محاولة جماعة «الإخوان المسلمين» التى نفت قيادتها علمها او موافقتها على اغتيال ناصر بإطلاق ٨ رصاصات فى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ اثناء خطابه فى ميدان المنشية فى الإسكندرية ولكنه واصل الخطاب متحديًا إطلاق الرصاص وقال: فليبق كل فى مكانه.. إننى حى لم أمت ولو مت فكل واحد منكم هو جمال عبدالناصر ولن تسقط الراية.

كشفت صحيفة الشرق الأوسط فى فبراير ٢٠٠٥ عن وثيقة بريطانية بعد مرور ٣٠ عاما على كتابتها فى ١٩٧٤ من قبل القنصل البريطانى فى المغرب وذكر تورط

اشخاص فى إعطاء ناصر علاجًا يتضمن الأكسجين خلال رحلته إلى موسكو سنة ١٩٧٠ وهم موقنون بوفاته خلال ٣ اشهر وهذا ادعاء غير صحيح لأن العلاج بالاكسجين كان معروفًا قبل وفاته ولم يكن من الأسرار وكان الروس متقدمين فى استخدام خيمة الأكسجين لعلاج رواد الفضاء بعد عودتهم من رحلات الفضاء وكذلك للمرضى الذين فى حاجة إلى مساعدتهم على التنفس ولو أعطى الاكسجين بكمية أكثر من احتياج ناصر أو المريض قد تفجر الرئة وتتلف خلايا المخ وتظهر على المريض اعراضها فى الحال ولا داعى للانتظار والقول أن المريض سيموت بعد ٣ أشهر. هناك أقوال عديدة عن وفاة ناصر بعضها منطقى وبعضها غير منطقى ولكن لابد من الالمام التام بظروف ناصر الصحية والنفسية وظروف مصر الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية بسبب استمرار الحرب والتضحية بشباب مصر فى ظروف قاسية لا يمكن إهمالها وتأثيرها فيه، ومعرفته أن الدول الكبرى لن تسمح له بهزيمة إسرائيل مهما كان الثمن وسنذكر هنا قولاً متداولاً منذ مدة قد يكون صحيحا وهو «أن ناصر اعتاد استخدام حقنة الأنسولين قبل حضوره مأدبة غداء ولكن تطورات القتال فى الاردن حتمت على ناصر والحضور الاستمرار فى الاجتماعات التى انتهت بوقف القتال وتوديع ناصر جميع الضيوف فى المطار وأدى عدم تناول الطعام بعد حقنة الانسولين إلى هبوط حاد فى مستوى السكر واضطراب فى القلب مما جعل الطاقم الطبى عند وصولهم إلى بيت ناصر يعتقدون انها نوبة قلبية وليس هبوطا فى السكر وكان من الممكن اسعاف ناصر باعطائه قطعة سكر بدل التركيز فى تنشيط القلب ولكن هناك صعوبة بقبولها لأن الأطباء الذين باشروا إسعاف ناصر معروفون ولا يمكن الطعن فى وطنيتهم وخبرتهم وإلمامهم الكامل بحالته ومرضه بالقلب والسكر وتصلب الشرايين ومضاعفات كثرة تدخين ناصر قبل اقلاعه عنه والضغوط العملية والنفسية وإحساسه بمسؤولية هزيمة ١٩٦٧.. واستمرار القتال بين الأشقاء فى الأردن وقرب انتهاء فترة وقف اطلاق النار بين مصر وإسرائيل بعد حرب استنزاف مجيدة لم يسلط عليها الضوء الكافى لان خلال هذه الحرب كانت إسرائيل هى التى تطلب وتلح لإيقاف اطلاق

النار وكانت إسرائيل ترد بارسال طائراتها لقصف مناطق غير محمية فى عمق الأراضى المصرية وليس لها أهمية استراتيجية وعدم مواجهة القوات المصرية فى قناة السويس لأن ناصر استطاع بناء أعظم وأقوى حائط صواريخ فى ذلك الوقت وكان هناك انزال وارسال قوات مصرية تمكث أيامًا فى سيناء وجعلت الجنود الإسرائيليين لا يستطيعون الخروج من المخابئ. كانت هناك ضغوط داخلية وخارجية عربية وعالمية سوفيتية وأمريكية وأوروبية على ناصر لاستمرار وقف اطلاق النار والدخول فى مباحثات لإنهاء الحرب وكان وليم روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية يطلب بإلحاح من ناصر قبول مبادرته التى اقترنت باسمه وأرسل السفير يارنج وفى المقابل كانت هناك ضغوط ومزايدات حماسية شرسة وشخصية ضد ناصر من بعض اذاعات دول عربية ثورية لم تستمر فى الحرب ومنظمات فلسطينية».

شهادة طبيبه الخاص

أمام الاكاذيب التى يروجها البعض عن مرض عبد الناصر وأسباب وفاته، خرج الطبيب الخاص للرئيس الراحل الدكتور الصاوى حبيب - هو الطبيب الملازم له ليل نهار اعتبارًا من يوليو ١٩٦٧م - عن صمته الطويل وقرر الادلاء بشهادته بالتفصيل وموثقة بالشهادات والتقارير ونتائج التحليل الطبية منذ عام ٦٧ حتى يوم الرحيل فى ٣٠ سبتمبر.

يقول د. الصاوى فى كتاب خاص أصدرته الهيئة العامة للكتاب:

يذكر البعض إنه مات بالإهمال.. وتطوع البعض بالقول دون علم بأن عبد الناصر أصيب بغيبوبة فى المطار - أثناء توديع أمير الكويت بعد انتهاء القمة العربية الشهيرة - وهذا لم يحدث.. وزاد آخرون أن الطبيب الخاص أعطى عبد الناصر حقنة «انتستين بريفين» وهى ليست حقنا ولكنها نقط للأنف.. ولم يكتفوا بذلك.. ولكن أضافوا أن عبد الناصر مات فورا بعد اعطائه الحقنة وهذا ايضا لم يحدث.. ونشرت احدى المجلات أن عبد الناصر توفى بغيبوبة سكر والحقيقة أن عبد الناصر لم يصب بغيبوبة

سكر قبل وفاته وكان قد تناول عصير برتقال عقب وصوله من المطار. ونشر أكثر من مرة أن عميد كلية العلاج الطبيعى الذى سجن بتهمة العمالة لإسرائيل قام بتدليك لساقى عبد الناصر بمادة سامة سببت الوفاة.. والحقيقة كما يكشفها الدكتور الصاوى أن هذا الرجل لم يدخل بيت عبد الناصر وكان المسئول عن التدليك شخصًا آخر وتحت إشراف طبى متخصص. قيل أيضًا أن المياه الطبيعية التى عولج بها عبد الناصر فى «تسخالطوبو بروسيا» كانت مسممة وأنها سببت وفاته ويشهد الدكتور الصاوى أنه هو نفسه أخذ نفس الجلسات مع عبد الناصر للتعرف على تأثيرها العلاجى.

السكر البرونزى:

وكتب أحد الصحف يين أن الدكتور الصاوى قال له: إن عبد الناصر كان مصابا بالسكر البرونزى وهذا النوع من مرض السكر يسبب تليف الكبد واصابته بالاورام وتليف البنكرياس وهبوط بالقلب وتلون الجلد باللون البرونزى.. ويبدى الدكتور الصاوى نفيه قوله لهذا الصحفى شيئًا؛ لأن عبد الناصر كان مصابًا بمرض السكر العادى وأن الصحفى هو الذى سأله إن كان هذا هو السكر البرونزى فنفى الدكتور الصاوى ذلك تماما من واقع التحاليل المتكررة التى كانت تتم دوريًا.

وفى كتاب بالانجليزية للدكتورة أهداف سويف ذكر أن الاطباء الذين حضروا الوفاة كانوا خمسة ذكرتهم بالاسم.. ويذكر الدكتور الصاوى فى مذكراته أن هؤلاء لم يحضروا وان الذين حضروا حتى لحظة الوفاة كانوا ثلاثة فقط هم الدكتور الصاوى نفسه والدكتور منصور فايز والدكتور زكى الرملى.

يقول الدكتور الصاوى فى كتابه: لقد ظللت أقرأ أننى قلت ما لم أقله وفعلت ما لم أفعله وأنه حدث ما لم يحدث.. إلى أن فاض به الكيل وقرر أن يوقف هؤلاء الذين يخترعون حكايات عن عبد الناصر.. ويروى تفاصيل مراحل العلاج لما كان يعانيه عبد الناصر من السكر والقلب والتهاب الساق الذى كان يسبب له آلاما شديدة. كما يروى كيف أصيب عبد الناصر بجلطة فى القلب كانت من النوع الصامت فلم يشعر

بالآلام المعتادة فى هذه الحالة.. وكان ذلك بسبب ما كان يبذله من جهد كبير فى الاجتماعات واللقاءات والسفر المتكرر وزيارات للجبهة ورفضه اتباع النصائح الطبية بالراحة يومين فى الأسبوع وتحديد ساعات العمل وأخذ إجازة قصيرة كل شهر.. لكنه كان يتحمل جهدا يفوق طاقته واحتماله وهو جهد فرضته عليه الجماهير والقادة العرب والثقة التى كانت تجعله فى نهاية كل يوم يجد صعوبة فى النوم.

هل قتل أشرف مروان صهره؟

المعلومات التالية غير موثقة ولكنها أخذت من مواقع المعارضة بعد قتل أشرف مروان بإلقائه من شرفة منزله بلندن بعد أن تردد أنه يكتبها وقد اختفت هذه المذكرات من شقته.. ومما جعل الموقع يضع شكوك المعارضة التى وردت بدون دليل هو الخبر السابق عن موت عبد الناصر بالسم قالت المعارضة: فى صباح يوم ٢٨ سبتمبر من عام ١٩٧٠ عقد جمال عبد الناصر اجتماعًا مغلقا مع الملك حسين ملك الأردن السابق بعد انتهاء مؤتمر القمة العربى الطارئ الذى عقد فى القاهرة لوقف المذبحة التى شنها الملك حسين ضد الفلسطينيين فى الأردن. كان عبد الناصر يبغض الملك حسين الذى كان يتآمر مع ملك السعودية فيصل ضده وضد مصر كما أن عبد الناصر كان يعلم أن الملك حسين عميل إسرائيلى. كان عبد الناصر قد عقد العزم نهائيًا على التخلص من الملك حسين فى هذا اليوم لذبحه الفلسطينيين وسعيه لطردهم من الأردن لحساب إسرائيل، ويقال أن عبد الناصر قتل بوضع سم الأكونتين فى عصير الجوافة الذى كان سيقدم للملك حسين أثناء اجتماعه مع عبد الناصر بجناحه بفندق هيلتون النيل. كانت المخابرات المصرية قد نجحت فى اغتيال عدد من الشخصيات الأجنبية والمصرية ومنهم عبد الحكيم عامر باستخدم هذا السم الذى لا تظهر نتائجة إلا بعد بضعة ساعات ولا يترك أثرا بالجسم ولكنه يسبب هبوطًا حادًا بالدورة الدموية يجعل تشخيص سبب الوفاة على أنه أزمة قلبية. وتقول المعارضة أن أشرف مروان الذى كان حاضرا لهذا الاجتماع هو الذى قدم كوب العصير المسموم لعبد الناصر.

وماذا بعد الوفاة..

قد سجل التاريخ لهذا العملاق أن قواته المسلحة وشعبه حافظوا على عهده وساروا على خطاه التى كانت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق نصر ساحق بفكر عملاق من صعيد مصر.. للثأر عنده قدسية وعقيدة.

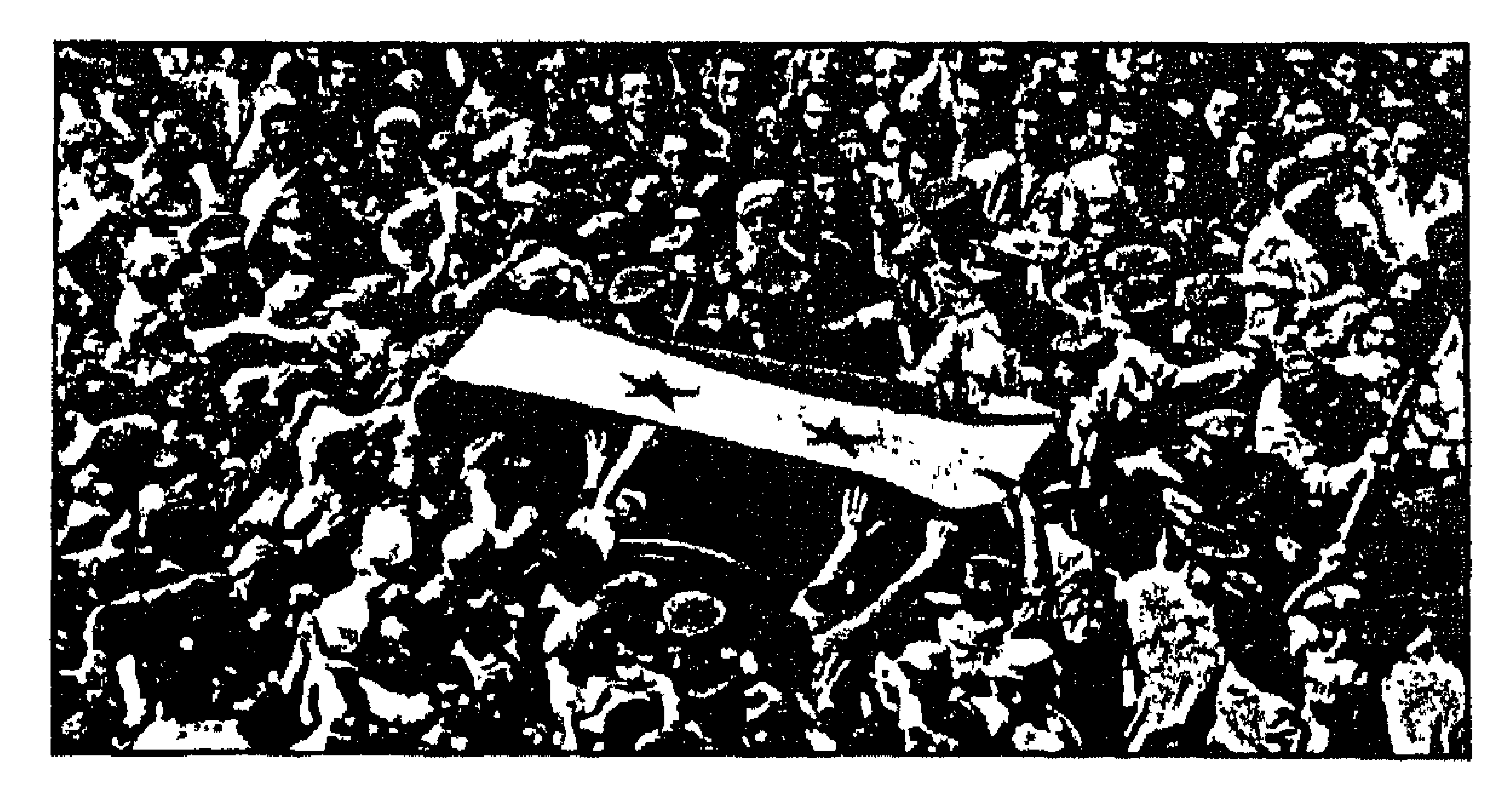
وكم كانت سنوات الحزن قاسية على قوات العملاق حتى كانت حرب أكتوبر ٧٣ التى نسب نصرها فقط إلى كل من السادات والملك فيصل!

بينما كان ناصر حاضرًا فيها وبقوة.

وفى الخاتمة لا يفوتنا إلا أن نطلب الرحمة ونقرأ الفاتحة لمن مات عملاقا فى مخدع نومه ومن مات ملكا قتيلا فى قصره ومن مات رئيسًا قتيلا وسط جنوده.

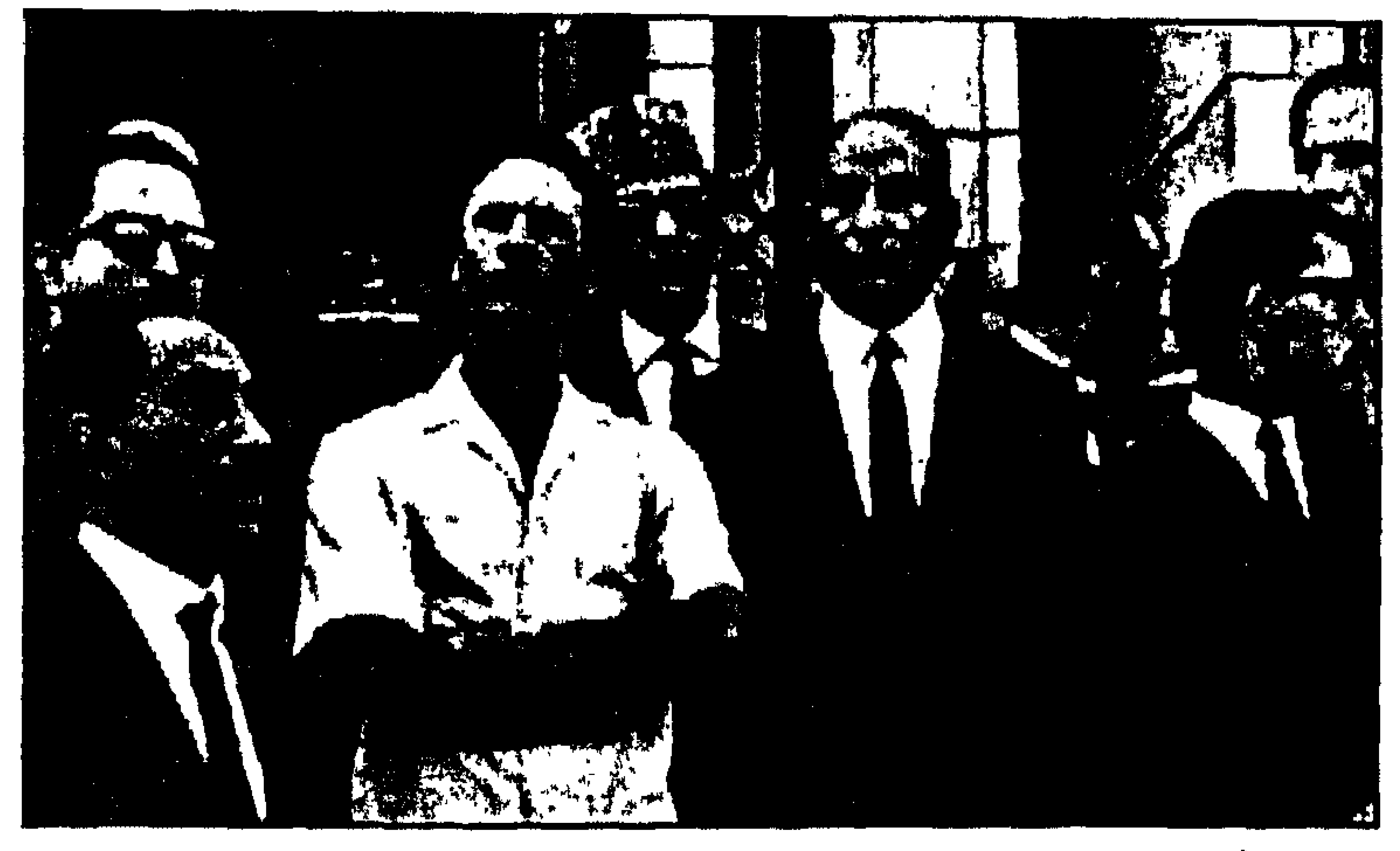
(مشاهد من جنازة آخر الزعماء)







نميرى.. والسادات يعزيان بعضهما البعض فى فقيد الأمة العربية..



وفى الأعلى القذافى وبجواره السادات ينتظران وصول الجثمان أمام باب المسجد

جمال عبد الناصر فى عيون الشعراء.. والكتاب

اختلفوا معه.. ولكن أحبوه.. أحبه حتى أعداؤه..

يعرض الدكتور عبد الله سرور الأستاذ بجامعة الإسكندرية فى أحد بحوثه الأكاديمية الخاصة شتى نظرات الشعراء إلى عبد الناصر ومواقفهم المختلفة منه والتى يمكن حصرها فى ثلاث نظرات أساسية هى:

- عبد الناصر الأسطورة.

حيث أفرط الشعراء فى رسم ملامح وتفاصيل الشخصية الأسطورية للزعيم بشكل يكاد يتصل بالخرافات ويبتعد عن منطق العقل.. وكان للشعراء نصيب كبير فى تجسيد أسطورة عبد الناصر.

- عبد الناصر الثائر

كان عبد الناصر زعيما لأول ثورة ناجحة فى العصر الحديث أحدثت تغييرًا جذريًا فى المجتمع المصرى ثم امتدت خارجه حتى صارت الثورة المصرية هى النموذج والمثل وصار عبد الناصر رمزا عالميا للثورة والنضال ضد الاستعمار.. وأمن الشعراء أن الفن الأمثل هو الفن الثورى الذى يقتضى من الفنان التزاما بقضايا أمته وعصره.

- عبد الناصر السياسى

كان للشعراء الذين اختلفوا مع عبد الناصر أو انشقوا عليه مواقفهم الشعرية.. وكان طبيعيا أن يصب معارضوه جام غضبهم عليه وحده.. واكثر هذا الشعر كان محفوظا وليس مكتوبا ولذا تساقط اكثره من ذاكرة الزمن.. وايضا كان من نتائج الحملة السياسية ضد عبد الناصر بعد وفاته أن وجد هؤلاء الفرصة كى يطلوا بوجوههم طمعا فى دور جديد أو أملا فى تصفية حساباتهم ضد الماضى.

وكتب عنه الكثيرون من الشعراء أمثال (نزار قبانى...عبد الوهاب البياتى...صلاح عبد الصبور.. فدوى طوقان.. أحمد فؤاد نجم).

الهرم الرابع

قصيدة للشاعر نزار قبانى عنوانها: (الهرم الرابع) كتبها بعد وفاة الزعيم ضمن ثلاث قصائد الأولى باسم (جمال عبد الناصر) والثانية (رساله إلى جمال عبد الناصر)

نزار قبانى الذى كتب يومًا قصيدته الشهيرة (هوامش على دفتر النكسة) والتى أدت إلى منع تداول القصيدة ومنع نشر وإذاعة أعماله الأخرى فى مصر، ولكن الزعيم ألغى

كل حظر على أعمال نزار قباني رغم الهجوم الشخصي عليه ولم يكن نزار الشاعر الوحيد الذى اختلف مع عبد الناصر ومع ذلك كان عبد الناصر العشق الأول لنزار قباني:

قتلناكَ.. يا آخرَ الأنبياءْ

قتلناكَ.. ليسَ جديداً علينا اغتيالُ الصحابةِ والأولياءْ

فكم من رسولٍ قتلنا..

وكم من إمامٍ.. ذبحناهُ وهوَ يصلّى صلاةَ العشاءْ

فتاريخُنا كلّهُ محنةٌ وأيامُنا كلُّها كربلاءْ..

(2)

نزلتَ علينا كتاباً جميلاً ولكننا لا نجيدُ القراءهْ..

وسافرتَ فينا لأرضِ البراءهْ

ولكننا.. ما قبلنا الرحيلا..

تركناكَ فى شمسِ سيناءَ وحدكْ.. تكلّمُ فى الطورِ ربكَ

وتعرى.. وتشقى.. وتعطشُ وحدكْ..

ونحنُ هنا نجلسُ القرفصاءْ

نبيعُ الشعاراتِ للأغبياءْ

ونحشو الجماهيرَ تبناً وقشاً

ونتركهم يعلكونَ الهواءْ

(3)

قتلناكَ.. يا جبلَ الكبرياءْ..

وآخرَ قنديلِ زيتٍ.. يضيءُ لنا فى ليالى الشتاءْ..

وآخرَ سيفٍ من القادسيهْ..

قتلناكَ نحنُ بكلتا يدينا وقلْنا المنيّةْ

لماذا قبلتَ المجيءَ إلينا؟

فمثلُكَ كانَ كثيراً علينا..

سقيناكَ سُمَّ العروبةِ حتى شبعتْ..
رميناكَ فى نارِ عمّانَ حتى احترقتْ..
أريناكَ غدرَ العروبةِ حتى كفرتْ..
لماذا ظهرتَ بأرضِ النفاقْ.. لماذا ظهرتْ؟
فنحنُ شعوبٌ من الجاهليهْ ونحنُ التقلّبُ.. نحنُ التذبذبُ.. والباطنيّهْ..
نُبايعُ أربابنا فى الصباح.. ونأكلُهم حينَ تأتى العشيّهْ..

(4)

قتلناكَ.. يا حُبّنا وهوانا..
وكنتَ الصديقَ.. وكنتَ الصدوقَ.. وكنتَ أبانا..
وحينَ غسلنا يدينا.. اكتشفنا بأنّا قتلنا مُنانا..
وأنَّ دماءكَ فوقَ الوسادةِ.. كانتْ دِمانا..
نفضتَ غبارَ الدراويشِ عنّا..
أعدتَ إلينا صِبانا..
وسافرتَ فينا إلى المستحيل وعلمتنا الزهوَ والعنفوانا..
ولكننا حينَ طالَ المسيرُ علينا وطالتْ أظافرُنا ولحانا..
قتلنا الحُصانا.. فتبّتْ يدانا.. فتبّتْ يدانا..
أتينا إليكَ بعاهاتنا.. وأحقادِنا.. وأنحرافاتنا..
إلى أن ذبحنكَ ذبحاً بسيفِ أسانا..
فليتكَ فى أرضِنا ما ظهرتَ.. وليتكَ كنتَ نبيُّ سِوانا...

(5)

أبا خالدٍ..
يا قصيدةَ شعرٍ.. تقالُ. فيخضرُّ منها المدادْ..
إلى أينَ؟ يا فارسَ الحُلمِ تمضى.. وما الشوطُ.. حينَ يموتُ الجوادْ؟
إلى أينَ؟ كلُّ الأساطيرِ ماتتْ.. بموتكَ.. وانتحرتْ شهرزادْ وراءَ الجنازةِ..
سارتْ قريشٌ فهذا هشامٌ.. وهذا زيادْ..
وهذا يريقُ الدموعَ عليكْ وخنجرهُ.. تحتَ ثوبِ الحدادْ..

وهذا يجاهدُ في نومهِ.. وفي الصحو.. يبكي عليهِ الجهادْ..
وهذا يحاولُ بعدكَ مُلكاً.. وبعدكَ.. كلُّ الملوكِ رمادْ..
وفودُ الخوارجِ.. جاءتْ جميعاً لتنظمَ فيكَ.. ملاحمَ عشقٍ..
فمن كفّروكَ.. ومَنْ خوّنوكَ.. ومَن صلبوكَ ببابِ دمشقْ..
أُنادي عليكَ.. أبا خالدٍ
وأعرفُ أنّي أنادي بوادْ وأعرفُ أنكَ لن تستجيبَ وأنَّ الخوارقَ ليستْ تُعاد..

●●●

والدُنا جمالَ عبدَ الناصرْ:
عندي خطابٌ عاجلٌ إليكْ..
من أرضِ مصرَ الطيبهْ
من ليلها المشغولِ بالفيروزِ والجواهرِ
ومن مقاهي سيّدي الحسين.. من حدائقِ القناطرِ
ومن تُرعِ النيلِ التي تركتَها..
حزينةَ الضفائرِ..
عندي خطابٌ عاجلٌ إليكْ
من الملايينِ التي قد أدمنتْ هواكْ
من الملايين التي تريدُ أن تراكْ
عندي خطابٌ كلّهُ أشجانْ
لكنّني..
لكنّني يا سيّدي
لا أعرفُ العنوانْ..

(2)

والدُنا جمالَ عبدَ الناصرْ
الزرعُ في الغيطان.. والأولادُ في البلدْ
ومولدُ النبيِّ.. والمآذنُ الزرقاءُ..
والأجراسُ في يومِ الأحدْ..

وهذهِ القاهرةُ التى غفَتْ..
كزهرةٍ بيضاءَ.. فى شعرِ الأبَدْ..
يسلّمونَ كلّهم عليكْ
يقبّلونَ كلّهم يديكْ..
ويسألونَ عنكَ كلُّ قادمٍ إلى البلدْ
متى تعودُ للبلدْ؟...

(3)

حمائمُ الأزهرِ يا حبيبَنا.. تُهدى لكَ السلامْ
مُعدّياتُ النيلِ يا حبيبَنا.. تُهدى لكَ السلامْ..
والقطنُ فى الحقولِ.. والنخيلُ.. والغمامُ..
جميعُها.. جميعُها.. تُهدى لكَ السلامْ..
كرسيُّكَ المهجورُ فى منشيّةِ البكرىّ..
يبكى فارسَ الأحلامْ..
والصبرُ لا صبرَ لهُ.. والنومُ لا ينامْ
وساعةُ الجدارِ.. من ذهولِها..
ضيّعتِ الأيّامْ..
يا مَن سكنتَ الوقتَ والأيامْ
عندى خطابٌ عاجلٌ إليكَ..
لكنّنى...
لكنّنى يا سيّدى.. لا أجدُ الكلامْ
لا أجدُ الكلامْ..

(4)

والدُنا جمالَ عبدَ الناصرْ:
الحزنُ مرسومٌ على الغيومِ.. والأشجارِ.. والستائرِ
وأنتَ سافرتَ ولم تسافرِ..
فأنتَ فى رائحةِ الأرضِ.. وفى تفتّحِ الأزاهرِ..
فى صوتِ كلُّ موجةٍ.. وصوتِ كلُّ طائرِ

فى كتبِ الأطفالِ.. فى الحروفِ.. والدفاترِ
فى خضرةِ العيونِ.. وارتعاشةِ الأساورِ..
فى صدرِ كلِّ مؤمنٍ.. وسيفِ كلِّ ثائرِ..
عندى خطابٌ عاجلٌ إليكْ..
لكنّنى..
لكنّنى يا سيّدى..
تسحقُنى مشاعرى..

(5)

يا أيُها المعلّمُ الكبيرْ
كم حزنُنا كبيرْ..
كم جرحُنا كبيرْ..
لكنّنا
نقسمُ باللهِ العلىِّ القديرْ
أن نحبسَ الدموعَ فى الأحداقْ..
ونخنقَ العبرهْ..
نقسمُ باللهِ العلىِّ القديرْ..
أن نحفظَ الميثاقْ..
ونحفظَ الثورهْ..
وعندما يسألُنا أولادُنا
من أنتمُ؟
فى أىِّ عصرٍ عشتمُ..؟
فى عصرِ أىِّ مُلهمٍ؟
فى عصرِ أىِّ ساحرٍ؟
نجيبُهم: فى عصرِ عبدِ الناصرِ..
الله.. ما أروعها شهادةً
أن يوجدَ الإنسانُ فى عصرِ عبدِ الناصرِ

السيّدُ نامْ

السيّدُ نام

السيّدُ نامَ كنومِ السيفِ العائدِ من إحدى الغزواتْ

السيّدُ يرقدُ مثلَ الطفلِ الغافى.. فى حُضنِ الغاباتْ

السيّدُ نامَ..

وكيفَ أصدّقُ أنَّ الهرمَ الرابعَ ماتْ؟

القائدُ لم يذهبْ أبداً

بل دخلَ الغرفةَ كى يرتاحْ

وسيصحو حينَ تطلُّ الشمسُ..

كما يصحو عطرُ التفاحْ..

الخبزُ سيأكلهُ معنا..

وسيشربُ قهوتهُ معنا..

ونقولُ لهُ..

ويقولُ لنا..

القائدُ يشعرُ بالإرهاقِ..

فخلّوهُ يغفو ساعاتْ..

يا مَن تبكونَ على ناصرْ..

السيّدُ كانَ صديقَ الشمسِ..

فكفّوا عن سكبِ العبراتْ..

السيّد ما زالَ هُنا..

يتمشّى فوقَ جسورِ النيلِ..

ويجلسُ فى ظلِّ النخلاتْ..

ويزورُ الجيزةَ عندَ الفجرِ..

ليلثمَ حجرَ الأهراماتْ.

يسألُ عن مصرَ.. ومَن فى مصرَ..

ويسقى أزهارَ الشرفاتْ..

ويصلّى الجمعةَ والعيدينِ..

ويقضى للناسِ الحاجاتْ
ما زالَ هُنا عبدُ الناصرْ..
فى طمىِ النيلِ.. وزهرِ القطنِ..
وفى أطواقِ الفلاحاتْ..
فى فرحِ الشعبِ..
وحزنِ الشعب..
وفى الأمثالِ وفى الكلماتْ
ما زالَ هُنا عبدُ الناصرْ..
من قالَ الهرمُ الرابعُ ماتْ؟
يا مَن يتساءلُ: أينَ مضى عبدُ الناصرْ؟
يا مَن يتساءلُ:
هلْ يأتى عبدُ الناصرْ..
السيّدُ موجودٌ فينا..
موجودٌ فى أرغفةِ الخُبزِ..
وفى ازهارِ اوانينا..
مرسومٌ فوقَ نجومِ الصيفِ..
وفوقَ رمالِ شواطينا..
موجودٌ فى اوراقِ المصحفِ
فى صلواتِ مُصلّينا..
موجودٌ فى كلماتِ الحبِّ..
وفى أصواتِ مُغنّينا..
موجودٌ فى عرقِ العمّالِ..
وفى أسوانَ.. وفى سينا..
مكتوبٌ فوقَ بنادقنا..
مكتوبٌ فوقَ تحدينا..
السيّدُ نامَ.. وإن رجعتْ
أسرابُ الطيرِ.. سيأتينا..

●●●

قصيدة زيارة لضريح عبد الناصر

نجم صدر أمر باعتقاله هو والشيخ إمام مدى الحياة فى عهد عبد الناصر، ولكن شهادة الشاعر أحمد فؤاد نجم بعنوان (ثورة هذا الرجل) بعد سنوات من رحيل عبدالناصر قال فيها:

كانت مصر حبلى بالثورة تنتظر حتى جاء جمال عبد الناصر الضابط الشاب الذى تصاعدت مواقفه الوطنية حتى بلغت ذروتها بتأميم قناة السويس والتصدى للعدوان الثلاثى ليتحول عبد الناصر إلى زعيم بلا منازع لحركة التحرر الوطنى العربية وواحد من أهم زعماء حركة عدم الانحياز أمثال العمالقة ماوتسى تونج ونهرو وتيتو وسوكارنو و نكروما. وكان من الطبيعى ان أعشق جمال عبد الناصر ضمن ملايين العشاق فى شتى بقاع الأرض كنت أشعر أن عبد الناصر يحارب فى معاركى الشخصية لذلك اعتبرت هزيمه ٦٧ هزيمة شخصية للمواطن أحمد فؤاد نجم وعندما كتبت قصيدة عبد الودود ونشرتها فى مجلة آخر ساعة أخبرنى السباعى أن الرئيس جمال عبدالناصر بكى بعدما قرأها.

ولكن كانت النكسة قد أحدثت شرخًا عميقًا فاندفعت بكل ما أوتيت من جنون وغيظ أكتب أول هجاء لعبد الناصر وأول هجوم على نظامه فى مجموعه من القصائد إلى أن صدر أمر باعتقالى أنا والشيخ إمام مدى الحياة.

وروح يا زمان وتعالى يا زمان ومات عبد الناصر وجاء السادات بكل بلاويه وجعلنا نترحم على أيام عبد الناصر.. وسافرت خارج مصر وشفت حال الدويلات العربية بدأت أترحم على أيام الزعيم جمال عبد الناصر وفى لحظة شجن فى الغربة كتبت قصيدة:

على الضريح

السكة مفروشة

تيجان الفل والنرجس

والقبة صهوة فرس

عليها الخضر بيبرجس

والمشربية عرايس

بتبكى

والبكا مشروع

من ذا إللى نايم وساكت

والسكات مسموع

سيدنا الحسين؟

ولا صلاح الدين؟

ولا النبى؟

ولا الإمام؟

دستور ياحراس المقام

ولا الكلام بالشكل ذا ممنوع؟!

على العموم

انا مش ضليع

فى علوم الانضباط

أبويا كان مسلم صحيح

وكان غبى

وكان يصلى ع النبى

عند الغضب

والانبساط!

أبويا كان

فلاح تعيس

فى ليلة ظلمة

خلفوه

وف خرقة سودا

لفلفوه

وف عيشة غبرا
طلعوه
وف عيشة مايلة
سكنوه
ولصموه
وطلسموه
ودجنوه
وجهزوه
وجوزوه على عماه
فكان محير فى هواه
ما بين أمى وما بين الجاموسة
وكان يخاف
يقتل ناموسة
وكان خجول
خجول

خجول
لكنه كان دايمًا يقول
أستغفر الله العظيم
من باب الاحتياط !
ابويا طلعتوه حمار
فكان طبيعى
يجيبنى جحش
لا أعرف نبى
من أجنبى
ولا مين ما جاش
ولا مين ما راحش
موسى نبى

أبوه نبى

عيسى نبى

أبوه نبى

كمان محمد كان نبى

ويا قلبى صلى ع النبى

وكلنا نحب النبى

وكل وقت وله أذان

وكل عصر وله نبى

وإحنا نبينا كده

من ضلعنا نابت

لا من سماهم وقع

ولا من مرا شابت

ولا انخسف له القمر

ولا النجوم غابت

أبوه

صعيدى وفهم

قام طلعه ضابط

ضبط

على قدنا

وع المزاج ظابط

فاجومى من جنسنا

مالوش مرا عابت

فلاح

قليل الحيا

إذا الكلاب سابت

ولا يطاطيش للعدا

مهما السهام صابت

عمل حاجات معجزة

وحاجات كتير خابت

وعاش ومات وسطنا

على طبعنا ثابت

وإن كان جرح قلبنا

كل الجراح طابت

ولا يطولوه العدا

مهما الأمور جابت

●●●

قصيدة البدل

قصيدة لعبد الرحمن الأبنودى بعنوان (البدل)

مرثية لروح الزعيم جمال عبد الناصر

ابادلْكُم حريّة.. بسجن.

ابادلكم سِلْم.. بحرب.

ابادلكم صوتى.. بصمت.

ابادلكم اسمى.. بصوت مجهول.

ابادلكم فدادين الطين

بالعتمة فى رطوبة الزنازين.

ابادلكم حاكم عادل بالفرعون الجبار.

الجنّة.. بالنار.

الراحة.. بتعب القلب.

أبادلكم أمن.. بخوف.

زُهريّة ورْد.. بكباية دم.

وحياة مرتاحة أبادلها بموت.

أبادلكم ضِحكاتى.. بغمّ

ورفيقى أبادله بمخبر كلب.
أبادلكم لو كنتوا تبادلونى
تاخدوا سنواتكم وتردُّولى السنوات.
صعب تردُّولى السنوات !!.
صعب تبادلونى برجوع العزة
ومعنى الوطنية والأوطان..
للشعب.
ورجوع دمّ الشهداء.
والوجه الأصلى لكلمة أعداء.
ونضارة وجْه الفقراء.
وكرامة تساوى كرامة كلّ اللى اتسلبوا.
والنصر.. لكل اللى من غير حرب
اتغلبوا !!
بادْلونى.. وجوه بوجوه
ولغات بلغات.
خدوا كل اللى حيلتنا من الوفات:
اللى اتنهبوا.. واللى لسه حيتنهبوا
وردوا للأمة رجولتها ونخوتها وقُدرتها.
ردُّوها من تابع مذلول
لزعيمة لاستقلال.
من قُطعان سايحة.. لرجال.
ردولها كل اللى سرقتوه من مال.
ادفعوا عنْها ديون الأطفال.
ردوا لها شمس المستقبل
واكنسوا أطنان العتمة من درب الأجيال.
أخلاق الشعب اللى انداس..
واللى أصبح ناس مش ناس !!

ردوا للشعب رغيفه المخطوف.
صوته الأصلى وعرقه المسفُوف.
وبالمجّانى.. رجعوا للطفل الكراس.
ابنوا على شط النيل المصنع جنب المصنع.
رُدوا للجندى المصرى وظيفة المدفع.
ردُّوا الإنسان العادى ياخُدْ قيمةْ ما يدفع.
والفلاح ردوه من ذُل الغربة
وردوله حُبه للفاس.
رُدوا الوطن المسروق
اللى اتمرغ فى مخالب السوق.
فكوا عنه الطوق.
شِلُّوا القدم الصهيونية الساكنة فى الدقى
وماشية فى باب اللوق.
ردُّوا الجمعية للفلاحين
والمصنع للعمال.
لو تقدروا تخرجوا م الأغلال
اللى كتفكم بيها اللى علمكم لعبة رأس المال..
لو غيرتوا الحال..
أُقسم قدام شعبى أغنى لكم من قلبى
وعمرى ما غنى تانى
لـ.. (جمال)..!!

●●●

هل كانت جنازته وهمية؟

فى مداخلة له فجر الكاتب المصرى علاء حامد صاحب الرواية المثيرة للجدل «مسافة فى عقل» رجل مفاجأة مدوية.. حينما أعلن فى كتابه الذى عرضه أمام المؤتمر أن جنازة جمال عبد الناصر كانت وهمية وأنه يعيش فى المنفى.

وجاء فى مقدمة كتابه ماذا لو كان حـ يًا..الزعيم فى المنفى: لقد عاش شعبنا خدعة كبرى خلال ٣٥ عاما لم أكن أتصور لحظة تقارب من الثانية أن الزعيم تم نفيه لأرض بعـ يدة وأنه لم يمت وأن النعش الذى ارتفع فوق رؤوس المصر يـ ين كان خا ويًا على عروشه وأن آلاف البشر الذين ودعوه إلى مثواه الأخير كانوا مخدوعين والدموع التى سكبوها دمًا حزنًا على فراقه كوميديا عبثية سوداء.. لقد كانت نفسى تتمزق تريد أن تتلاشى خجلاً وأنا أتساءل: هل هذا معقول وحقائق الأحداث تعلن عن نفسها.. حقائق مكتملة شارك فى صنعها أبطال بعضهم مازالوا أحـ ياء وآخرين أمواتًا.. أحداث لا يـ نقصها سوى أن نرى الزعيم بيننا وربما هو بيننا الآن فى أحد القصور أو المستشفـ يات أو الشقق ولا نستطيع الوصول إليه لكن أحداث الكتاب الذى أعددته للنشر تؤكد أنه حى يرزق لذلك قررت ورغم يقينى فيـ ما تم اكتشافه ورغم محاولتى المضنية فى لضم الأحداث بخيط واحد فقد تشككت فى النتـ يجة المرجوة من نشر الموضوع برمته.. فالجميع سـ يهاجمنى وينصب لى المشانق على صفحات الصحف والمجلات ولن ينصفنى أحد.

●●●

وأخيراً ماذا تبقى من ناصر؟

تصفية التجربة الناصرية:

هناك تفسيرات عديدة لإجهاض وتصفـ ية الميراث السياسى والاجتماعى للتجربة الناصرية بعد وفاة صاحبها.. فـ يرى أن مكمن علة التجربة الناصرية يرجع إلى أنها رغم اتساع تمثيلها الطبقى بحكم تمثيلها الطبقة الوسطى الصغيرة بالأصالة وطبقات العمال والفلاحـ ين بالنيابة.. لكنها لم تسع لبناء نظام سـ ياسى عبر آليات التراضى والتمثيل.. فظلت طرفا سياسيا مهددا ومكشوفا.

وهناك مظاهر الفراغ السـ ياسى داخل التجربة الناصرية.. وهو الفراغ الناتج عن عزوف عبد الناصر عن تكوين نظام سـ ياسى تعددى فى إطار مشروعه.. مبينا تبلور حالة الفراغ من خلال التنظيمات السياسية للثورة.

كما أن هذا الفراغ السياسى المحسوس أوقع سلطة يوليو فى أخطاء كبيرة كان أبرزها تأميم العمل السياسى وتفريد الشعب إلى مكوناته الأولية ومصادرة قواه الوسيطة (أحزاب ـ نقابات ـ جمعيات ـ عمل سياسى فى الجامعات.. الخ) وتشويه ممارسة الآليات التمثيلية التى جرى القبول بها.. ونتيجة لهذه الأخطاء عجزت سلطة يوليو عن تكتيل القوى المستفيدة منها لصالح مشروعها تكتيلا طبيعيا.. وبدأ لديها التخوف من عودة خصومها الرجعية الثورة المضادة للعمل ضدها.

لكن يبقى أن أهم ما خسرته الناصرية هو عجزها عن مأسسة ذاتها وتقليص الطابع الشخصى للحكم.. وعجزها عن معالجة فساد الطبقة الجديدة بشكل جعل من هذه الطبقة خطرا جوهريا على المشروع نفسه.

قالوا بعد وفاة ناصر

مناحم بيجن: إن وفاة عبد الناصر تعنى وفاة عدو مر. إنه كان أخطر عدو لإسرائيل إن إسرائيل لهذا السبب لا تستطيع أن تشارك فى الحديث الذى يملأ العالم كله نحو عبد الناصر وقدرته وحكمته وزعامته.

شارل ديجول: إن جمال عبد الناصر قدم لبلاده وللعالم العربى بأسره خدمات لا نظير لها بذكائه الثاقب وقوة إرادته وشجاعته الفريدة. ذلك انه عبر مرحلة من التاريخ أقسى وأخطر من أى مرحلة أخرى.لم يتوقف عن النضال فى سبيل شرف واستقلال وعظمة وطنه العربى والعالم بأسره.

الكاتب الهندى ديوان برندرانات فى كتاب ناصر الرجل والمعجزة: إن التاريخ المعاصر للعالم العربى وخاصة مصر وتاريخ حياة ناصر لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر فدراسة الواحدة لا تكتمل إلا إذا أبقينا الأخرى نصب أعيننا.

الكاتب البريطانى توم ليتل: إن قوة منطق ناصر مستمدة من قوة منطق التاريخ.. إن ارتباط عبد الناصر بتراب هذا الوطن وتاريخه هو الذى صاغ صورته الجماهيرية، أما التزامه بقضايا الوطن ومسارعته بالدفاع عنها فقد كان وسيلته فى توصيل هذه الصورة إلى شعب الأمة العربية فى كل مكان.

الكاتب الفرنسى جان لاكوتر يقول فى كتابه ناصر وهو يصف احداث تشييع جنازة جمال عبد الناصر: إن هذه الجموع الغفيرة فى تدافعها الهائل نحو الجثمان إلى مثواه الأخير لم تكن تشارك فى تشييع الجثمان إلى مثواه الأخير.. لكنها كانت فى الحقيقة تسعى فى تدفقها المتلاطم للاتصال بجمال عبد الناصر الذى كانت صورته هى التجسيد المطلق لكينونتها ذاتها.

■■■

محتويات

الزعيم

من أيام الانتصار إلى

سيبقى أبد الدهر رمزا لمصر الحديثة.

أيا كان ما تعنيه مصر الحديثة بالنسبة لك.

عن عبد الناصر نتحدث، ذلك الرجل الاستثنائي الذي استطاع أن يحفر اسمه في تاريخ مصر بكل الألوان.

ويقولون إن هناك أسماء يمحوها الزمن، وأسماء تثبت مهما مر الزمن، لكن اسم عبد الناصر من ذلك النوع الذي يشكل ملامح الزمن.

كانت مصر يحكمها قصر، يسكن فيه حاكم تركي أو ألباني أو كردي أو ......

ومع القصر توجد سفارة تابعة لإمبراطورية لا تغيب عنها الشمس، هي بريطانية.

كانت مصالح القصر مع مصالح السفارة، وأحيانا يقاطعان، وأحيانا يتعارضان، لكنهما دائما يتفقان في شيء واحد وهو أنهما ليسا مصريين ليس من تراب هذا البلد.

كان هذا حتى جاء الفارس الأسمر.

حكم مصر في أدق مراحلها، فكانت تجربة من أثرى تجارب الحكم، تظلمها حين تقدسها وتنزهها عن الأخطاء والخطايا، وتظلمها أكبر لو أنك لم تقدرها حق قدرها.

بدون إطالة في الشرح، اقرأ هذا الكتاب لتسير يوما بيوم مع الزعيم في سيرته ومسيرته .... وأسراره.

W.Salama 010 15 17 873